الجزء الثاني ١٩٤٤ السنة الثانية

الأدب والفن

زهرية من طراز « برونوس » من عهد كانج هسي (١٦٦٢— ١٧٢٢) وقد طليت الألوان على ظل بني . المتحف البريطاني .

مجلة أدبية فنية جامعة لشتى الأفكار

B.S.A.

ثلاثة حروف مشهورة

يصعب ان تجد اى بلد فى العالم لم تبعث حروف .B.S.A والعلامة التجارية ذات الشعار الثقة والاعجاب بين خبرائها.

وليس هذا بغريب فلا يخلو طريق من طرق العالم من دراجات وموتوسكلات .B.S.A واليوم ترسل جميع دراجات وموتوسيكلات .B.S.A الى جود قوات الدول المتحدة ولكن تعد الخطط لايام السلم وعندما يحين هذا الوقت ستجد فى خدمتك طرازات احدث واجمل عن تلك التى جعلت هذه الحروف الثلاثة مشهورة فى العالم.



دراجات و موتوسيكلات

B.S.A. CYCLES, LTD., BIRMINGHAM 11, ENGLAND.



لوزاك وشركاه

لطبع وبيع الكتب الشرقية

٤٦ شارع جريت رسل لندن

❀ ❀ ❀

لدينا مجموعة كبيرة من الكتب (جديدة ومستعملة) عن مصر وبلاد العرب وتركيا وايران والهند والصين الخ بكل اللغات .

سترسل الكتالوجات عند الطلب .

إلى المؤلفين والناشرين : الرجاء إعلامنا بمطبوعاتكم .

اخصائيون فى الرسوم الدقيقة والمخطوطات والفخار وغيرها من منتجات الهند وايران .



١٧٤٠

LUZAC & CO.

ORIENTAL PUBLISHERS AND BOOKSELLERS

46, GREAT RUSSELL STREET, LONDON.

الأدب والفن

المحتويات

سرادارة التحرير ان يوافيها القراء بمقالات لنشرها . وقرار هيئة التحرير
ما يتعلق بقبول هذه المقالات قرار نهائى . وستعاد المقالات لاصحابها فى حالة
ا اذا قاموا مقدما بدفع تكاليف البريد . وعنوان رئيس التحرير :—

The Editor "Literature & Art"
c/o Hodder & Stoughton Limited, London.

حفظ الآثار

بقلم محمد محمود جمعة

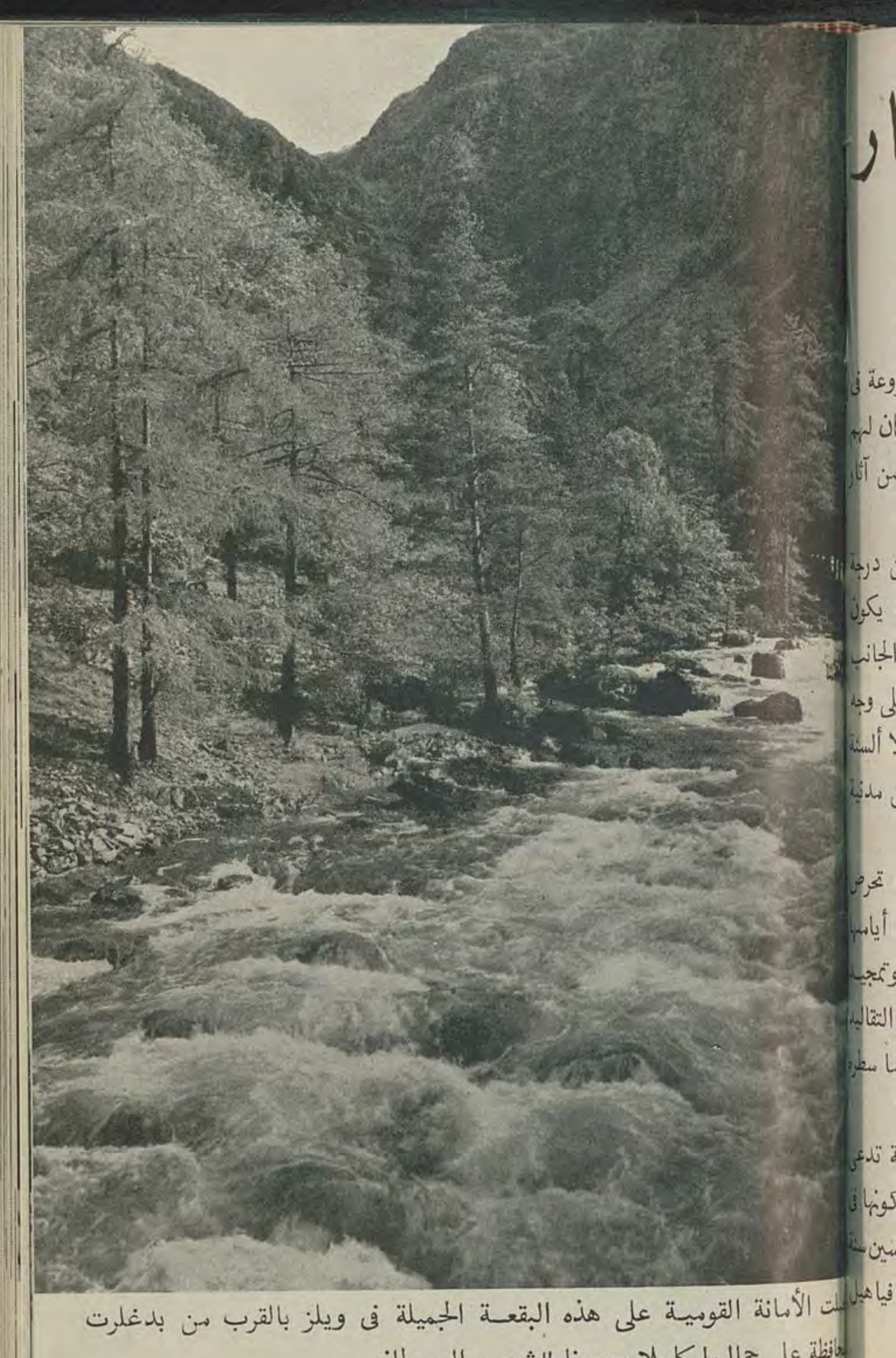
تلك آثارنا تدل علينا   فانظروا بعدنا إلى الآثار .

لايكاد عربى يقرأ هذا البيت حتى تأخذه هزة فى النفس وروعة فى القلب وحتى تهيج فى طيات فؤاده ذكرى الآباء والأجداد وما كان لهم فى العصور الخالية من ملك كبير ومجد أثيل وما خلفوا وراءهم من آثار بلى الزمن وهى باقية وفنى الدهر وهى دائمة الخلود .

وآثار كل أمة إنما تكون على نسبة قوتها وعظمتها وما بلغت من درجة فى الحضارة والعمران . وكما قال ابن خلدون «على قدر الدولة يكون الأثر» . فكلما كانت الدولة فسيحة الرقعة عظيمة الجاه قوية الجانب كانت آثارها أكثر عددا وأشد روعة وسحرا وأطول دواما وأبقى على وجه الزمن . وما الآثار الباقية من المبانى الشاهقة والهياكل العظيمة الا ألسنة تكاد على صمتها تنطق وتحدثك بما وصلت إليه الأمة فى الأصل من مدنية وحضارة وجاه وسلطان واتساع وعظم .

لهذا كانت الأمم الراقية التى تشعر ببقائها وتفخر بماضيها تحرص الحرص كله على العناية بحفظ آثارها وكل ما يمت بصلة إلى أيامها الخالية . ولعل بريطانيا هى أشد الدول عناية بحفظ الآثار وتمجيد مخلفات السلف . وذلك لأن الشعب البريطانى شعب عريق فى التقاليد متمسك بها كل التمسك وهو يعد هذه الآثار سجلا وضاء يقرأ فيه ما سطره آباؤه وأجداده من الأعمال الغر العظام .

ولحرص بريطانيا على صيانة ما بها من الآثار تكونت فيها هيئة تدعى «الأمانة القومية National Trust ». وهى هيئة ليست بحكومية بل كونها فى الأصل ثلاثة من أفراد الشعب البريطانى فى سنه ١٨٩٥ أى من نحو خمسين سنة مضت وهم السر روبرت هنتر "Sir Robert Hunter" والآنسة اوكتافيا هيل



لت الأمانة القومية على هذه البقعة الجميلة فى ويلز بالقرب من بدغلرت
حافظة على جمالها كاملا مصونا للشعب البريطانى .

"Miss Octavia Hill" والقس رونسلى "Canon Rawnsley" . وقد اتسعت هيئة «الأمانة القومية» اتساعا كبيرا بمرور الزمن حتى غدت اليوم على درجة عظيمة من الغنى والثراء . وليس غرضها حفظ الآثار القديمة والأماكن التاريخية فحسب بل الاستحواذ كذلك على البقاع الجميلة والجهات التى لا تزال فى حالتها الطبيعية الساحرة، كل ذلك لمتعة الشعب ومنفعة الأجيال القادمة . وتستمد هيئة «الأمانة القومية» مالها من الهبات الخيرية وتبرعات المحسنين والمنح التى يبذلها الأفراد عن طيب خاطر، سواء كان ذلك فى شكل نقود أو أرض أو ضياع أو عقار . وهى تستحوذ فى الوقت الحاضر على ما يقرب من مائة الف فدان من اراضى انكلترا بعضها تغطيه الغابات العظيمة وبعضها مكون من المروج الفيحاء أو الضياع الواسعة، كما تملك أيضا أكثر من ثمانمائة من البيوت الريفية الأثرية وأكثر من عشرين قصرا من القصور التاريخية العظيمة . ومعظم هذه

أوصى المرحوم اللورد لوثيان بقصر أجداده الفخم فى بليكنج بمقاطعة نور
للأمانة القومية . وقد بنى هذا القصر فى القرن السابع عشر .



المنازل والقصور قد وهبها اصحابها للشعب وتنازلوا عنها لهيئة «الأمانة القومية» لرعايتها والقيام على صيانتها وحفظها فى حالة جيدة هى وما بها من أثاث وفراش وتحف يرجع عهدها إلى عهد البناء نفسه . وبهذه الطريقة حفظت هيئة «الأمانة القومية» للشعب كثيرا من الأبنية القديمة البديعة المثال التى يرجع تاريخها إلى عصر الملكة الياصابات «اليزابث» .

ولعل أقدم بقعة تاريخية حفظتها هيئة «الأمانة القومية» للشعب البريطانى هى تلك المسماة "Runnymede" وهى البقعة التى اضطر فيها الملك جون أن يضع خاتمه على براءة «العهد الاكبر» "Magna Carta" الذى ضمن لكل فرد انكليزى حقه فى الحرية الفردية .

وفى سنه ١٩٢٦ أهدى اللورد كيرزن لهذه الهيئة القصر المعروف باسم "Bodiam Castle" وهو قصر بديع مبنى على هيئة قلعة من القلاع يرجع تاريخه إلى القرن الرابع عشر الميلادى، وهو من أروع نماذج البناء فى العصور الوسطى .

وفى «ايلزبرى» بمقاطعة بكنجهام شير استحوذت الهيئة على قصر يرجع تاريخه إلى القرن الخامس عشر الميلادى يعرف باسم "King's Head Inn" ومنذ نشوب الحرب الحاضرة اهدى اليها السر تشارلس تريفلين القصر المعروف باسم "Wallington" بما فيه من صور وتحف قيمة، وهو قصر بدئ فى بنائه فى سنه ١٦٨٨ ثم أضيفت اليه ساحة جميلة فى سنة ١٧٣٧ . وهو مبنى فى وسط ضيعة تبلغ مساحتها ثلاثة عشر ألف فدان .

وفى سنه ١٩٤٢ أهدى اللورد استور لهيئة «الأمانة القومية» قصره المعروف باسم "Cliveden" وهو قصر تاريخى أيضا إذ فى الحديقة المقام عليها هذا القصر سمع الجمهور لأول مرة فى سنه ١٧٤٠ الانشودة القومية المشهورة التى ألفها الشاعر الانكليزى جميس تومسون James Thomson والتى مطلعها : « احكمى يا بريطانيا » .

وفى يوم السبت ١٢ فبراير سنه ١٩٤٣ أقامت السفارة الأمريكية

بلندن حفلة بمناسبة مرور الذكرى المائة والخامسة والثلاثين على ميلاد ابرهام لنكولن . وفى هذه الحفلة سلم الكولونيل ليزلى "Col. J. Leslie" إلى مركيز زيتلند رئيس هيئة الأمانة القومية حجة ملكية الأرض التى كان مقاما عليها منزل أجداد لنكولن بقرية تدعى Swanton Morley بمقاطعة نورفلك راجيا أن يقام عليها نصب تذكارى لابرهام لنكولن ذلك الزعيم الأمريكى المشهور الذى قاتل منذ قرن او نحوه فى سبيل ضمان الديموقراطية الحقة الا وهى «حكم الشعب بالشعب لخير الشعب» حتى لا تمحى من على وجه الأرض . هذا قليل من كثير وإنما ذكرته على سبيل المثال فقط لأدلل به على تلك الروح الوطنية العامة التى تدفع الشعب البريطانى إلى العناية بحفظ آثار آبائه ومخلفات أسلافه.

فاذا كان الشعب البريطانى على رقيه وعظمته يحرص كل هذا الحرص على جمع آثار السلف وصيانتها من العفاء والاندثار أفلا يجدر بنا معشر شعوب الشرق الأدنى أن نحاكى بريطانيا ونترسم خطاها فى ذلك وأن نتخذ منها أسوة حسنة وخاصة فى هذا الوقت الذى شرعنا ننهض فيه نهضة جديدة ونخلق فيه خلقا آخر؟ إن لنا تاريخا مجيدا وماضيا متلألئ الصحائف . فبلاد الشرق الأدنى هى مهد الحضارات ومنبت المدنيات، وعلى شواطئ النيل والدجلة والفرات تفتحت عين التاريخ وهو لا يزال فى مهده عن العمائر الشامخة والأبنية الفخمة والهياكل العظيمة من مصرية وبابلية وأشورية وفارسية، وعن آثار تغنى بها الدهر ومشى بذكرها الخلود . ثم هاهى الحواضر الاسلامية لا يزال يفتر ثغرها عما عجزت يد الدهر عن طمس معالمه من روائع الآيات فى فن العمارة والزخرفة الاسلامى مما لا تزال آثاره موجودة إلى اليوم فى دمشق وبغداد والقاهرة وفاس والقيروان .

وما انفك الأوربيون المشتغلون بتاريخ العرب والحضارة الاسلامية ينزحون إلى تلك الحواضر ليشاهدوا فيها هذه الآثار ويطلعوا فى سطورها تاريخ الاموين والعباسيين والاخشيد والفاطميين والطولونيين والأيوبيين

أعلى : كانت ضيعة هيوغندن موطن بنيامين دزرائيلى الذى صار فيما بعد لورد
سفيلد . فى الأسفل : منظر لقصر بوديام المشهور فى سسكس، وهو أيضا
ط عليه الأمانة القومية للشعب البريطانى .





فى الأعلى : منظر الصخرة المشهورة المسماة بالأخوات السبع، وهى فى سيفو
قرب دوفر وهى أشهر الصخور الجبلية البيضاء فى انجلترا . وقد ابتيعت كذ
للشعب البريطانى . فى الأسفل : قرية سلورثى فى دفون وهى جزء من ضي
مساحتها ٢٥ ميلا مربعا أهديت إلى الشعب البريطانى .

والماليك والموحدين والملثمين والمرابطين وغيرهم من سلاطين الاسلام الذين ذهبوا للعدم وبقيت آثارهم شاهدا على الوجود .

والشعب البريطانى فى طليعة الشعوب الأوربية التى شغفت شغفا كبيرا بفن العمارة الاسلامى وأعجبت به إعجابا عظيما ولهذا توافر العلماء البريطانيون على درس هذا الفن دراسة وافية وتناولوه بالشرح والتحليل . ومن بضع سنوات خلت عهد إلى العالم البريطانى رتشموند Richmond باصلاح ماحدث من خلل فى جامع عمر فجدد بعض لبناته الخزفية التى كانت قد فقدت وأعاده إلى سيرته الأولى ولا يزال المسجد قائما إلى اليوم يشهد بعظمة الفن الاسلامى وجلاله .

وها هو العلامة البريطانى كرزويل قد وضع كتابا فى مجلدين عن فن العمارة فى صدر الاسلام . وهو كتاب يعد بحق حجة ومرجعا فى هذا الباب . فقد استقصى فيه المؤلف تاريخ العمارة الاسلامية وما طرأ عليها

من ضيـ[...]ر هونستر فى اقليم البحيرات وهو يؤدى إلى بحيرات بترمير وكرامك وليفزواتر .
تحافظ عليه الأمانة القومية بمساعدة اكتتابات يتبرع بها الشعب البريطانى .





القرية الانجليزية العتيقة المشهورة وست ويكم فى بكنجهامشير . وتحافظ عليها الأمانة القومية .

من تطورات وحقق مسائل ظلت طويلا موضع الجدل والخلاف بين الخبراء ووفق إلى حلها حلا نهائيا بطريقة علمية صحيحة . وقد شرح لنا بطريقة جذابة أثر ابنية سامرا فى العمائر الطولونية بمصر . فجامع ابن طولون بصحنه الواسع وزخارفه البارزة وحناياه المعقودة ونوافذه المتناسقة ومنارته اللولبية إنما بنى على غرار المسجد الجامع الذى بناه المتوكل العباسى فى سامرا . وقد غدا جامع ابن طولون بدوره مبدأ عصر جديد لفن العمارة فى مصر .

والحق أن تلك الجهود الجبارة التى يبذلها البريطانيون فى العناية بالآثار الاسلامية هى خير حافز لنا — معشر العرب والمسلمين — على صيانة آثار آبائنا ومخلفات أجدادنا ومحاولة احياء فنونها والاضافة إليها بما يتفق مع نهضتنا الحاضرة حتى يصح لنا أن نفخر كذلك بتركها للأجيال القادمة قائلين :

تلك آثارنا تدل علينا   فانظروا بعدنا إلى الآثار .

مدينة الاسماعيلية

بقلم ادوارد لويس¹

وصف ماريوس فونتان — ذلك النهم المتقلب — مدينة الاسماعيلية فى سنة ١٨٦٩، بعد ميلادها ببضع سنوات، بأنها من رقائق الأطعمة الفرنسية التى طيبتها توابل الشرق. وما زالت ملاحظته هذه صادقة فى جوهرها حتى اليوم. فالاسماعيلية طعام غريب أجنبى ذو مذاق خاص بها دون سواها.

ومهما يكن طريق الوصول إليها، سواء أكان ذلك على متن الأرض أم فوق لجة الماء، فان الآثار الأولى التى تنطبع فى نفس مشاهدها عرضة للوقوع فى خطأ الحكم بسبب ما يلقاه فيها المسافر من نسيم بارد ينسيه قيظ الرحيل. فسواء أرتحلت إلى الاسماعيلية عن طريق قناة السويس من مدخلها الشمالى أو الجنوبى، أم ارتحلت إليها عن طريق البر من شرقيها أو من غربيها، لا تكاد ترى سوى الرمال المحرقة، فمصر تصارع الرمال كما تصارع هولنده مياه البحر. والبقاع القليلة ذات الخضرة المنعشة تختطف من الصحراء كما لو كانت قطعا من الزمرد العزيز المنال. ولكنها وسط تلك البقعة القاحلة العبوس تتلألأ أكثر توهجا.

والاسماعيلية، على ما بها من مثالب، تستطيع أن تدعى أنها تلك الجوهرة الغالية. فمنذ أقل من قرن كانت البقعة التى تقوم عليها المدينة اليوم مفازة صارخة الريح عابسة الوجه. فلم يكن هناك شجرة، أو

---

(١) مستر إدوارد لويس هو مهندس معمارى يرتقى سلم الشهرة فى شبابه، وقد طاف فى أنحاء أوربا، وأمريكا، والشرق الأوسط. وقد تلقى دراسته فى أوربا وأمريكا.

زهرة، بل لم يكن هناك دغل. ومنذ اجتياز بنى إسرائيل لهذه المفازة لم يخترقها سوى القوافل التى تسير بين أفريقية وآسيا. وكانت تلك القوافل تجتاز تلك البقاع الجافة من المياه المحفوفة بالمخاطر بأسرع ما تستطيع. ودى لسبس نفسه كاد يموت عطشا فى نفس البقعة التى تقوم عليها اليوم مدينة الاسماعيلية، حينما كان يمسح الأرض مع دليل من العرب فى سنة ١٨٥٩.

أما اليوم فليس هناك خوف البتة من انعدام الماء. فقد جلبه دى لسبس من النيل مسافة تقرب من مائة ميل. واليوم تلعب النافورات الدوارة على مروج النجيل اليانعة. والأقنية الصاخبة تغمر الحدائق المغطاة بالزهور. والأنابيب والخراطيم تبلل الأشجار. وفى المدينة نفسها يقدم ماء الشرب العام نقيا لذيذا مثلوجا من جواسق خاصة.

وكثيرا ما وصف السائحون من ذوى النزعات الخيالية مدينة الاسماعيلية بأنها بوتقة صغيرة يمتزج فيها الشرق بالغرب. فعلى أفاريز شوارعها المائجة ترى الحلل العسكرية والجباب العربية، والأحذية العالية العقب والأقدام الحافية، والقبعات الجوخ والطرابيش، والقبعات الباريسية

رسم محفور للاسماعيلية وقناة المياه العذبة فى سنة ١٨٦٩.



والبراقع . وفى الشوارع تنساب سيارات « ليموزين » الطلية بين الجمال وأحمالها . ومهما يكن أثر هذه المشاهد المتألقة فى النظرة العجلى فليس للمهندس المعمارى إلا أثر واحد يتغلب على سواه، ذلك هو الفوز المبهرج لمشروع التخطيط الذى محوره ومركزه مدينة الاسماعيلية، عاصمة قناة السويس .

وإذ ألقيت نظرى من طائرة من قاذفات القنابل من طراز «ليبريتور»، تندار وتئز فى القبة الهائلة الزرقاء الصافية التى تكون السماء المصرية، تبدت الملامح الرئيسية لوضع الاسماعيلية جميلة خلابة . فمن تحت على عمق بعيد تقع بحيرة التمساح كأنها خطفة برق زبرجدية هائلة فى صفرة الصحراء . وتندفق فى تلك البحيرة من شماليها ومن جنوبيها قناة الملاحة . وعلى شاطئها الغربى تقع المدينة كأنها سفينة طويلة راسية على ضفتها . ومن اتجاه القاهرة يزحف الشريان الثلاثى الشعب، طريق البر، وخط السكة الحديدية، وقناة الماء العذب التى تتدفق عند الاسماعيلية فى الشريانين المائيين اللذين يغذيان السويس وبورت سعيد .

والاسماعيلية أولا وبالذات نقطة لتوزيع المياه العذبة . وهى فى مركز ما يسميه السباكون فى اصطلاحهم وصلة لحام عظيمة على شكل حرف "T" فى خط الأنابيب الواصلة بين النيل والسويس وبورت سعيد . ولكن الاسماعيلية كذلك نقطة تفرع للسكك الحديدية وللطرق البرية، كما أنها ميناء ذو تجارة عظيمة الشأن فى الصادرات والواردات .

ويتألف تخطيط المدينة من مشطور ذى سبع طبقات : السكة الحديدية، فالمبانى، فالقناة، فالشارع العمومى، فالبساتين، فالميناء، ثم البحيرة . وهى فى نظامها العام مرآة لمذهب امتيازات الطبقات الاجتماعية الذى كان سائدا فى القرن التاسع عشر على أصحاب رءوس الأموال والمستعمرين فى مشروعاتهم . ولن يخطىء النظر، حتى من الطائرة، صرامة تقسيم المدينة إلى ثلاث مناطق متفرقة — حى الأغنياء، وحى الطبقة الوسطى، وحى الشحاذين أو الفقراء .

وحى الشحاذين يتألف من شوارع قابضة للصدر ذات منافذ حديدية، لا يتخللها الهواء ولا تزينها الحدائق . وهذا الجزء من المدينة كان حيا قذرا منذ كان مشروعا على لوحة الرسام، وهو طبعا أسوأ اليوم مما كان عليه حينئذ، ولو أن شركة قناة السويس همت بنصف عزيمة بتحسين حاله . وكان إنشاؤه فى الأصل بين عشية وضحاها لايواء حافرى القناة، وهو اليوم يأوى عمال الميناء، والخدم، والمتسكعين، والمساومين فى بيع السلع، وقليلا من أصحاب الحوانيت .

ويحتوى حى الطبقة الوسطى على ميادين وشوارع عريضة نجمية الشكل قائمة على النسق التقليدى «للفنون الجميلة»، ولكنها كلها ذات حدائق مزروعة ومتعهدة . والحوانيت الكبرى وأصحاب المهن الحرة فى هذا القسم .

أما حى الطبقة الغنية فهو أشبه بضاحية بستانية فى الطرف الشمالى للمدينة . وفيه من فوضى الزهور والبيوت ذات الطرز المتعددة، والطرق الملتوية، ما تراه عادة فى الضواحى .

وتتصل هذه الأحياء الثلاثة، اتصالا يربطها بعض الرابطة المفككة بالشارع العمومى الذى تكتنف الأشجار جانبيه، وبترعة الماء العذب التى تنحدر بسلسلة من الأحواض إلى بحيرة التمساح . ويربط النطاق النجيلى البهج، والأشجار، والماء، بين غابات جزيرة شيفالير والحدائق الوادعة بمستشفى دير سنت فنسنت، وضيعة نابليون الثالث والامبراطورة يوجينى، تلك الضيعة التى تفرشها أوراق الزهور، فيتكون من كل ذلك روضة يزيد طولها على ميل .

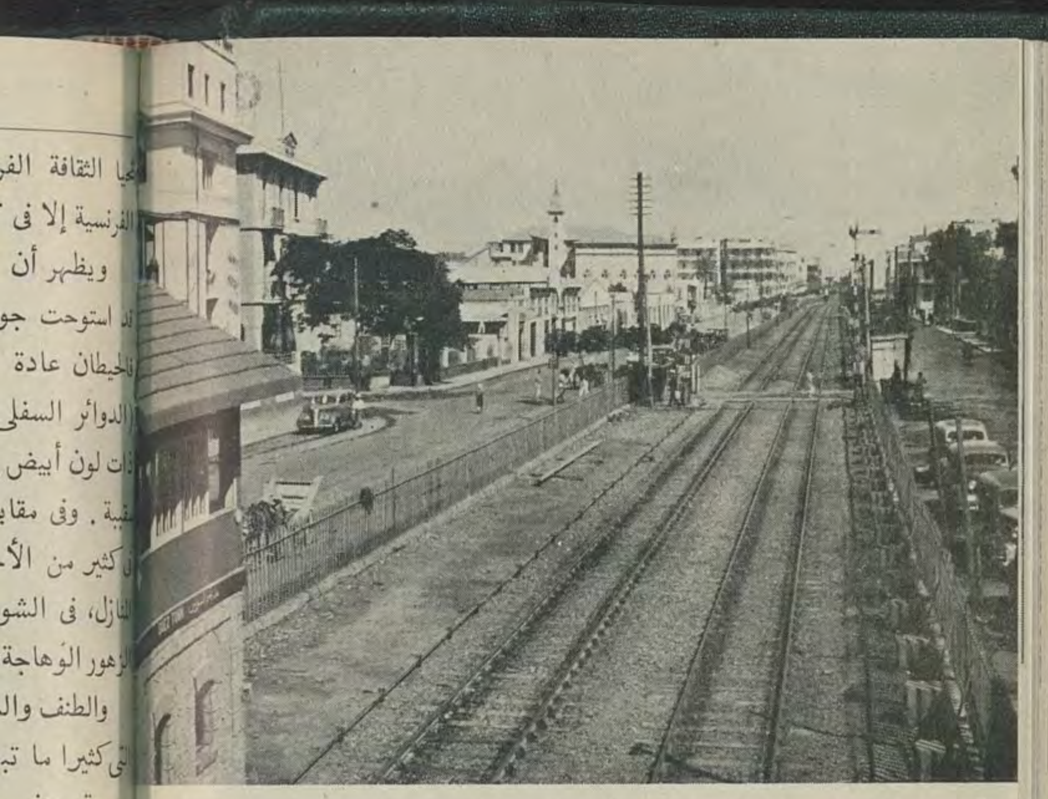
والاسماعيلية من الوجهة الادارية، شأن منطقة القناة بأسرها، أشبه بدولة داخل دولة . فشركة قناة السويس، التى أسست المدينة لتكون مقرا للادارة المركزية للشركة، لها امتياز تسع وتسعين سنة من الحكومة المصرية، وعليها أن تدفع للحكومة نسبة معينة من جميع الايجار الذى تحصله . وتقوم الشركة، تحت إشراف الحكومة المصرية، بكنس الشوارع



منظر للبنايات العصرية فى الاسماعيلية اليوم، وقد صارت الاسماعيلية مدينة بهيجة كالحديقة الغناء.

وإضاءتها، كما تقوم بالخدمات الرئيسية الأخرى. وتولد الكهرباء من محطة فى خارج المدينة فى مولد من مولدات «سيمنز»، ويرشح الماء من ترعة الماء العذب (ترعة الاسماعيلية) إلى مستودعات المياه. وتصب المجارى بعد تنقيتها فى زاوية خفية من زوايا بحيرة التمساح.

وتتعاون الشركة كذلك مع الحكومة المصرية فى الاجراءات الطبية. ومع أن موقع الاسماعيلية على العموم من أصح البقع فى مصر، إن المستنقعات القريبة وما تفقسه من البعوض مصدر متاعب وأخطار. على أن هذه المستنقعات تردم وتجفف الآن شيئا فشيئا.



آخر السكة الحديدية التى تحاذى القناة من السويس إلى الاسماعيلية . والصورة تبين مخزن السويس .

والأثر الفرنسى أقوى ما يكون وضوحا فى تنظيم الحدائق . وهذه الحدائق مخططة على شكل عمود فقرى ذى طرقات محورية تحفها الأشجار — على مثال حدائق فرساى — وممرات عريضة، وحدائق على الطراز التقليدى، تقوم بين السجف القاتمة الخضرة ذات الصبغة العظيمة . فى هذه الجمام الشرقية ذات النسق الفرنسى نستطيع أن نتخيل خليفة من خلفاء المسلمين يمشى جنبا لجنب مع ملك من عظماء ملوك الغرب . وإن فى المقارنة لتسلية ودهشة : فشيوخ البدو ذوو اللحى والعصى يستريحون على مقاعد المرمر الباهظة الزخرفة — مقاعد كانت تليق بماريا أنطوانت . وترى الأطفال السمر البشرة يمرقون من خفى الأماكن فى تماثيل الآرام المحفورة والأعمدة الاغريقية الطراز . هناك فى كل مكان

حيا الثقافة الفرنسية والثقافة العربية جنبا لجنب . ولا تتغلب الصبغة الفرنسية إلا فى تخطيط المدينة نفسه .

ويظهر أن الروح التى أملت الفكرة الأساسية للزخرفة فى هذه المدينة د استوحت جوها من الصحراء لدى طلوع الفجر وغروب الشمس . فالحيطان عادة ذات لون مشمشى أو أصفر خفيف الصفرة . والوزرات (الدوائر السفلى للحيطان) والشبابيك ذات لون رصاصى، والاطارات ذات لون أبيض أو سمنى، والأسقف حمراء وردية الحمرة فى مربعات متقاطعة شبية . وفى مقابل هذا الدفء اللونى ترى الأعمدة الصغيرة والسقيفات ى كثير من الأحيان ملونة بلون هادئ أزرق أو أخضر . وأمام بعض المنازل، فى الشوارع الجانبية، ترى بدلا من السقيفة (البواكى) خطا من الزهور الوَهاجة يحيط به سور حديدى رفيع مصنوع صناعة محلية رشيقة .

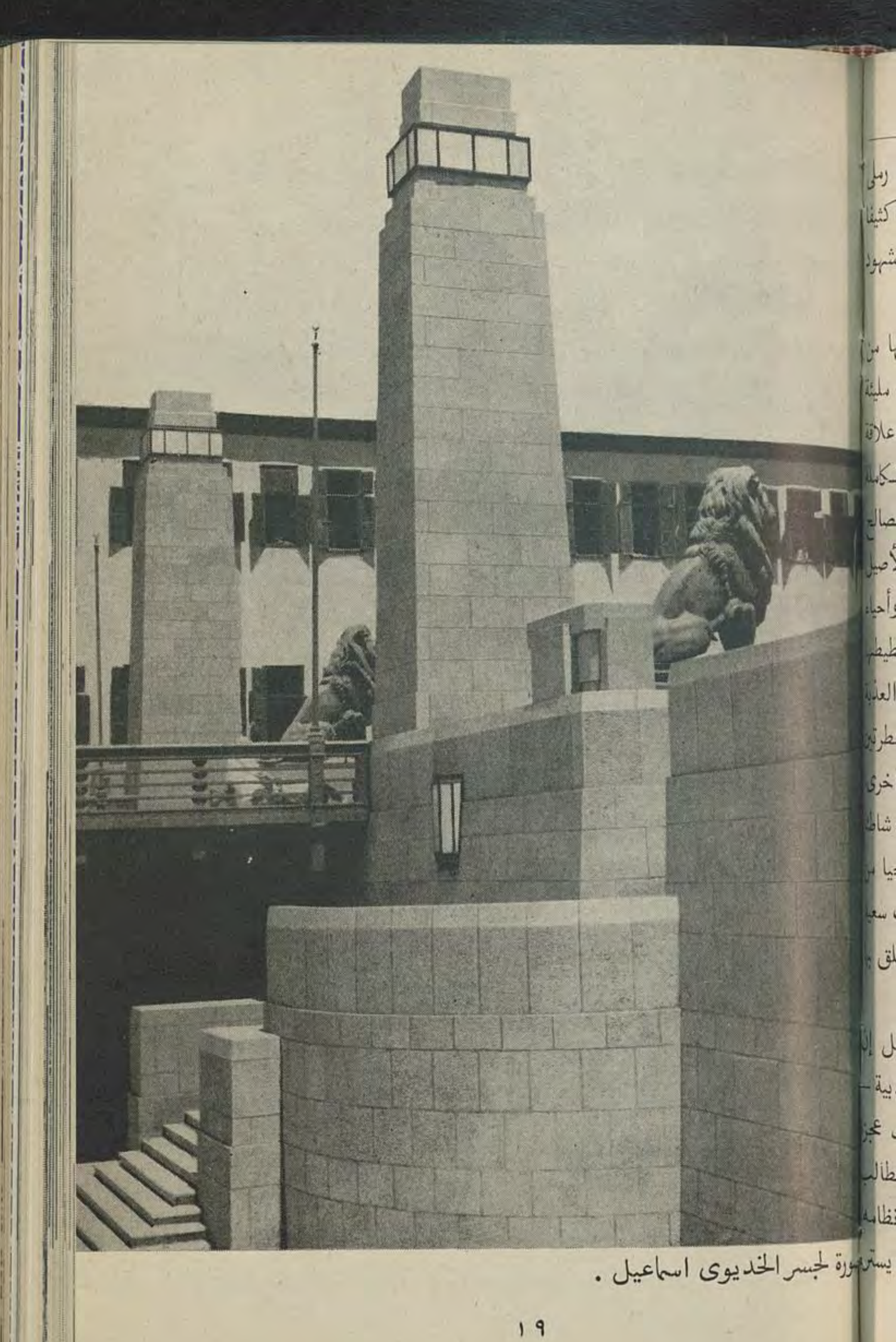
والطنف والسقيفة يتخذان أشكالا مختلفة متنوعة فى كل مكان . والقوائم التى كثيرا ما تبنى صعدا فى خلال عدة أدوار من البناء تكون مستديرة، ومربعة، ومخمسة الزوايا، ومثمنة الزوايا، وماسية الشكل، ومجعدة . وطرابيش الزينة المصنوعة من الخشب، والقائمة على مستوى مع الطنف، كثيرا ما تكون محلاة بنقش أو حفر على الطراز السويسرى للقرن السابع عشر، وإذا نظرت من تحت إلى سقف الطنف بدت لك دعاماته المتراصة فى لونها الأصفر الناصل بارزة على زاوية قائمة مع ألواح الحائط والسقف كما لو كانت مفاتيح الموسيقى فى معزف قديم . ويتصل بالطنف، فيما يشبه الحياء، ستائر ذات قضبان وشبابيك شيشية يطل منها النساء المسلمات بحيث يرين ولا تنظرهن العيون . ويدل تنظيم الدرابيزين على خيال مرح بما يحتوى عليه من الأتاويه الداوية بما فيها من النماذج الهندسية، مما يردد فى موسيقاه صدى عبارة ليذابى عن الفن العربى : « المرونة، والابهام، والتألق، كأنه رذاذ فوارة وتغريد طير » .

ومواد البناء الأساسية فى الاسماعيلية، كما هو الشأن فى مصر على الاطلاق، تستورد من الخارج . ويبنى بالشقافة، والخشب، والآجر؛ وبعض

الأبنية الجديدة مشيدة بالطوب . والحيطان مبنية من حجر رملى هش « فى طور التكون »، ويحتاج هذا الحجر إلى طليه بالجبس طلاء كثيفا لدى نقله من محاجره لمنع انحلاله وتفتته . وصناعة الطلاء بالجص المشهود بها للمصريين فى كثير من الأحيان، تظهر هنا فى أبهى صورها .

ومن المزايا التى تحبب المرء فى الاسماعيلية بهجتها التى تمكنها من التغلب على عيوبها الظاهرة . فهى من حيث تصميمها مدينة مليئة بالأغلاط : فليس لها قلب أو وسط بالمعنى الحقيقى . وليس فى علاقة أجزائها بعضها ببعض وضوح . ولم ينجح مؤسسها فى اغتنام الفرصة الكاملة التى يتيحها موقعها الخلاب . فهى منبطحة على الشاطئ الغير الصالح للبحيرة، ولا تتمتع بالرياح الباردة التى تهب هناك، ولا بجمال الأصيل والمساء إذ تشفى أشعة الشمس غلتها فى الماء . فالميناء، والرياض، وأحياء المساكن، ومراكز البيع والشراء تمتزج كلها امتزاجا محزنا فى تخطيط القائم على أساس المشطور ذى سبع الطبقات . وتفصل ترعة المياه العذبة الجزء المبنى عن البساتين، وتحتشد حركة المرور بها مختنقة على القنطرتين الوحدتين اللتين على تلك الترعة . وأحواض الميناء، من جهة أخرى تعزل البساتين عن البحيرة، متلفة بذلك ما كان جديرا أن يكون شاطئا مائيا فاخرا . والسكة الحديدية تكتنف المدينة، وتقلق فى الليل حيا من أهم أحياء السكن . ثم هناك الطريق الرئيسى بين القاهرة وبورت سعيد يخترق وسط المدينة، فتكتظ شوارعها الضيقة بحركة مرور كان أخلق بها أن تتجاوز المدينة بدلا من أن تجتازها .

وليست السطحية مقصورة على موقع المدينة بصفة عامة . بل إن الفن المعمارى فى الأبنية الشخصية المختلفة — على ما به من جاذبية — إذا خبرته عن كثب تكشف لك عن نقص فى الادراك من حيث عجزه عن تشكيل المطالب الأوربية بالظروف المحلية، وعجزه عن تشكيل المطالب المحلية على وفق مستوى التخطيط الأوربى فى هندسته، وفن بنائه، ونظامه، وقواعد الصحة . فالتخطيط المنزلى، إذا نفذت إليه من خلال ما يستر



صورة لجسر الخديوى اسماعيل .

من مظاهر الطنوف والشرفات التى فى الهواء الطلق، ما زال متشبثا بنظام الممرات التى تمزقه تمزيقا على النظام التقليدى المحافظ . فالحجرات التى كان ينبغى أن تكون متصلة بعضها ببعض قد ظلت منعزلة عديمة الهواء . وليس هناك محاولة فى قذف المساكن إلى الفضاء الخارجى للبيوت بانشاء طنوف ذات ستائر متحركة وحواجز متنقلة . ومن الشائع أن تجد الحدائق الخلفية والأفنية المغطاة بالحثالات، حتى فى الحى الأوربى . والنوافذ فى كل مكان أكبر مما ينبغى، وفى موضع لا يحقق الاقتصاد المعمارى، ونجد، فى ذلك المناخ الذى لا بد فيه من العناية بملاحظة اتجاهات الأبنية، واجهات المنازل وحجراتها الرئيسية يواجه بعضها بعضا كالمسافرين الذين أضناهم السفر فى إحدى مركبات السكك الحديدية، وفى بقعة يمكن أن يتحول فيها النسيم العليل فجأة إلى زوبعة رملية صغيرة، تكون التفاصيل البنائية والزخرفية عاملا من عوامل تجميع القذارة، وتصبح بذلك مصدرا للمتاعب وخاصة فى داخل الأبنية . ومع أن الارتفاعات مهذبة ومحتشمة، من المحتمل أن يمل النظر وقارها الذى لا يتبدل، ويشتهى شيئا أقل استمساكا بالعرف التقليدى فى النسب والصقل، وإن لا يشته المرء ذلك التنويع بين منزل وآخر، فلا أقل من أن يشتهيه بين شارع وآخر. وتساعد الألوان الربداء على الشعور بالسآمة . فصفرة الصحراء التى تسود فى طلاء المبانى تصبح فى لانهائيتها أشبه بالرمال نفسها . إن النفس تتعطش إلى البرودة التى تثلج الصدر بنضرة الخضرة وهدوء الزرقة . وهنا يفوق خيال العرب خيال الأوربيين . فطنوفهم وواجهات مساكنهم تتلألأ سعادة كما يتلألأ قوس قزح . فالظلات المخططة بالألوان البراقة والرسوم البهجة تظلل دكاكين الشوارع، أو تقوم حواجز للقهوات الداوية بالأحاديث . فالمناضد والكراسى الملونة تنبعث منها الحياة كما تنبعث من الزبائن أنفسهم .

ومهما يكن شأن تلك المثالب الواضحة فهناك الاسماعيلية بجمالها الفاتن الذى لا مجال إلى نكرانه . فما سرها؟ أهو التباين بين الجمال

والسيارات، والجند والأهالى، والألوان والسحن، والشيوخ والشبان، والخضرة والبيداء؟ أم هو سنا الناس، والموقع، والبيوت،والفوارات،والبساتين، والحوانيت ، والدكاكين ، والظلات ؟ بل لعله يكون جمال التجصيص، والنوافذ، والطنوف، والشبكات المعدنية؟

ولربما كان سر جمالها فى الميناء البحرى الذى فى وسط اليابسة، وفى قلب الصحراء؟— بزوارقه، وبواخره القاطرة، وبواخر النقل، وسفنه الحربية، تنساب جميعا بين كثبان الرمال؟



محطة ديفرزوار فى الطرف الشمالى للبحيرة الملحة الكبرى وهى تدار من المحطة الرئيسية بالاسماعيلية . والسفن التى تمر فى القناة تقوم هذه المحطات بتوجيهها وضبط مرورها .

كلا ! فجمال الاسماعيلية عندى إنما هو فى أنها رمز متنبئ بشيء يفوق كل الفوق فى أهميته وخطورته كل هذه الأمور، على ما لها من سحر وجاذبية : ذلك هو نظر دى لسبس الذى ضرب ضربة أفادت جميع الأمم وزادت فى نبضات قلب التاريخ، نظره الذى لم يكن مجرد إلهام تجارى أو تعديل جغرافى . لقد كان نواة لوضع خطة عالمية .

[عن المجلة المعمارية «أركيتكتشرال ريفيو، يناير سنة ١٩٤٤ .]

★

الأدَبُ العَصْرى
فى الجنوب الغربى لشبه جزيرة العَرب .. (١)
بقلم الدكتور ر . ب . سارجنت

تمهيد .

ليس فى أنحاء العالم العربى جزء يعرف عنه الناطقون بالضاد أقل مما يعرفون عن الزاويـة التى فى الجنوب الغربى لجزيرة العرب إذا استثنينا منها عمان . وفضلا عن ذلك ليس فى تلك المنطقة ما هو أقل معرفة لجيرانه من بلاد اليمن ، على الرغم من وقوعها فى الطريق العام للعالم، وعلى الرغم من تاريخها الطويل فى ميدان الحضارة . يقول ابن خلدون: « وتبقى الصنائع طويلا فى البلاد المتحضرة . فهى هناك محفوظة تتجدد دائما ، وخصوصا ما تمتاز به اليمن (كنسج الوشى ، والعصب ، ونسج الثياب والملابس الحريرية إلى غير ذلك مما وصل إلى درجة الاتقان) . »

وليس من الصعب أن نشرح السبب الذى من أجله كنا على جهل بهذه البلاد . فقد ظلت بلاد اليمن وحضرموت قرنا ونصف قرن وهما فى اضطراب وفوضى لم يقض عليهما إلا منذ نيف وعشرة أعوام مضت . وكانت الحكومات القائمة فى ذلك العهد لا ترضى أن تأخذ على عاتقها مسئولية السماح للأجانب بالسفر فى البلاد أو بالكشف عن أسرارها . وكان يؤيد ذلك الحظر مناعة البلاد بجبالها الشاهقة التى فى «اليمن الخضراء» ؛ لهذه الأسباب لم يتسن للرحالة ، أو العلماء ، أو التجار ، أن يتعمقوا فى جنوبى بلاد العرب ، منذ البعثة العلمية الدنمرقية لنيبوهر، ومنذ الأيام التى كان فيها للبريطانيين والفرنسيين مصانع فى مخا تشتغل فى تجارة البن .

على أن الأحوال قد تغيرت فى السنوات الأخيرة ، فاستطاع كل من

العرب والأوربيين أن يزوروا اليمن، ومحمية عـدن، وحضرموت . وبين كتاب العرب فى تلك البلاد عبد المحسن الذى ظهرت كتاباته قبل الحرب الماضية، ومنذ ذلك التاريخ ظهر الريحانى، ونزيه المعيد العظم، ثم أحدثهم جميعا الدكتور حزين . وكان مـن ثمرة الاتصال السياسى بين اليمن من جهة ومصر والعراق من جهة أخرى أن اليمن استجلبت منهما خبراء، فى العلوم الهندسية فى الغالب، كما أن اليمن أوفدت عددا من طلابها إلى القاهرة وإلى بغداد . كذلك التحق بخدمة إمام اليمن عدد من السوريين والأتراك، وعند عودتهم إلى بلادهم أفضوا بتصريحات إلى رجال الصحافة الذين كانوا يتطلعون لأخبار اليمن . ورغبة فى رى ظمأ العالم المفكر عن أخبار اليمن، استخرج من بين طيات المخطوطات الأب انستاس مـارى الكرملى كتاب «بلوغ المرام» للعرشى ونشره (طبعة مصر سنة ١٩٣٩) وهو يصل بتاريخ اليمن إلى سنة ١٩٠٠ . على أن القسم الخلاب فى ذلك الكتاب هو الفصل الممتع الذى كتبه نيافة الأب بقلمه عن الدولة الحديثة، معتمدا فيه على الكتابات والجرائد المعاصرة . ومع ذلك فان القارىء يسترعيه لأول وهلة رجوع الأب نصر سلطان لحج . ولحج هى مقر قبيلة عبدلى فى محمية عدن .





السلطان عبد الكريم فضل سلطان لحج .

انستاس، فى كثير من المواضع، إلى مؤلفات الجغرافية فى القرون الوسطى؛ فالمعلومات التى جمعها ابن حوقل، أو المقدسى، أو ياقوت ما زالت تقتبس سدا للنقص الذى فى المعلومات الحديثة عن اليمن، على حين أن الهمدانى—وهو دائرة معارف عن جنوبى بلاد العرب—ذو نفع لنا لا يقدر، وقد أخرج نيافة الأب انستاس الجزء الثامن من كتابه «الاكليل» مطبوعا طبعا شافيا. ولم يفتأ رجال الأدب يعلنون حزنهم على فقد الأجزاء الضائعة من ذلك السفر، غير أنه ينبغى لنا ألا نفترض ضياعها لمن سيأتون بعدنا، فان الريحانى يقرر أن الامام عنده نسخة كاملة للكتاب فى مكتبته بصنعاء، وهى مكتبة يقال إنها إحدى كبريات المعاهد التى من هذا القبيل فى الجزيرة العربية، ولو أن هناك كذلك مجموعات فاخرة من الكتب فى حوزة أسياد حضرموت. والحق أنه يجدر بنا أن نؤمل أملا غير ضائع فى أن كثيرا من الكتب المأثورة، التى لم يصل إلينا علمها إلا من كتاب «الفهرست» أو كتاب «كشف الظنون»، ربما كشف عنها البحث فى جنوبى الجزيرة العربية. ويشتغل بجمع هذه المخطوطات فى اليمن سيف الاسلام عبد الله المشهور بولعه بشئون التربية. وقد سمعت من يخبرنى بأن مصاحف بالخط الكوفى القديم كانت لا تزال تستعمل فى القرى



النائية حتى عهد غير بعيد . وربما أحل انتشار المطبوعات مصاحف مطبوعة محل تلك المخطوطات، فاليمن اليوم تتطور تطورا ربما كان أعظم من أى تطور شاهدته فى خلال عدة قرون مضت .

أنواع الأدب القديم السائدة فى الجنوب الغربى لجزيرة العرب .

يجنح الأدب فى الجنوب الغربى لجزيرة العرب، بصفة عامة، إلى نواح ملموسة ما تزال واضحة فى كتابات العصر الحاضر، وخاصة فيما يتعلق بأغراض الأدب أو موضوعات الكتابة . وأقدم الكتب التى خلفها كتاب هذه البلاد فى الماضى هى فى الغالب دواوين شعر هو فى كثير من الأحيان شعر دينى ذو نزعة صوفية . وقد قام لويس شيخو بدراسة فيها شىء من التفصيل للشعراء النصارى القدامى فى تلك المنطقة. وأشهر المنظومات غير الدينية، وأصلحها تمثيلا لغيرها، هى « القصيدة الحميرية » لنشوان بن سعيد، وفيها يتحدث الشاعر عن افتخاره بالتراث الموروث فى العلم والعزة والسلطان . ومن ذلك قوله :



رسم محفور قديم من مخطوطة يبين موقعة بين الأتراك والروس .

ومـلوك حمير، ألف ملك، أصبحوا   في الترب رهن صفائح وضراح
آثارهم فى الأرض تخبرنا بهم،   والـكتب من سير تقص صحاح
أنسابهم فيهـا تبين، وذكرهم   فى الطيب مثل العنبر الفياح
ملكوا المشارق والمغارب، واحتووا   ما بين أنـقرة ونجـد الجـاح
ملكت ثمود وعـادا الأولى معـا   منهم ملوك لم تـكن بشحـاح

وكان للمؤلفات التاريخية دائما ازدهار وخاصة فى العصر الرسولى حينما كانت زبيد مركزا لحركة أدبية منتعشة . ونـكاد نكون فى غنى عن التنويه بأمثال هؤلاء المؤلفين أو هذه الكتب : عمارة الخزرجى، والجندى ثم تواريخ صنعاء والغز . وكان من الطبيعى، فى بلاد تقوم فيها الحياة على نظم القبائل، أن يشغل علم الأنساب بال المؤلفين، وقد كتب فيه السلطان الملك الأفضل، كما أن هناك مجلدا ضخما عن تاريخ الأولياء وطبقات الفقهاء فى بلاد اليمن، إلى جانب سير الصحابة والمدائح النبوية .

ذلك إلى أننا نجد كثيرا من الكتب الزيدية بأقلام أتباع المذهب الخامس كما يسمى الزيدية مذهبهم، كما نجد كمية عظيمة من الكتب الفقهية الشافعية . وتنقسم البلاد جغرافيا إلى قسمين : اليمن الأعلى واليمن الأسفل، ويتبع الانـقسام المذهبى ذلك الانـقسام الجغرافى على وجه التقريب . ويمكن أن تسمى صنعاء الحاضرة الثقافية للزيدية، على حين أن زبيد، وتريم، وغيرهما من المدن الجنوبية ذات المعاهد العلمية التى أنشأها أو أحياها الأمراء الرسوليون، ما زالت مراكز لفقه المذهب الشافعى .

ومن أنصع الأدلة على أهمية البلاد من حيث هى مركز ثقافى فى العصور الوسطى أن السلطان الملك الأشرف دعا العالم اللغوى الشهير الفيروزابادى للاقامـة هناك فى نهاية القرن الثامن الهجرى، ثم عينه بعد ذلك قاضيا للقضاة . ومعظم الكتب العلمية التى ألفت فى العصور الوسطى، من طراز كتاب « شمس العلوم » لنشوان الحميرى، هى نتاج

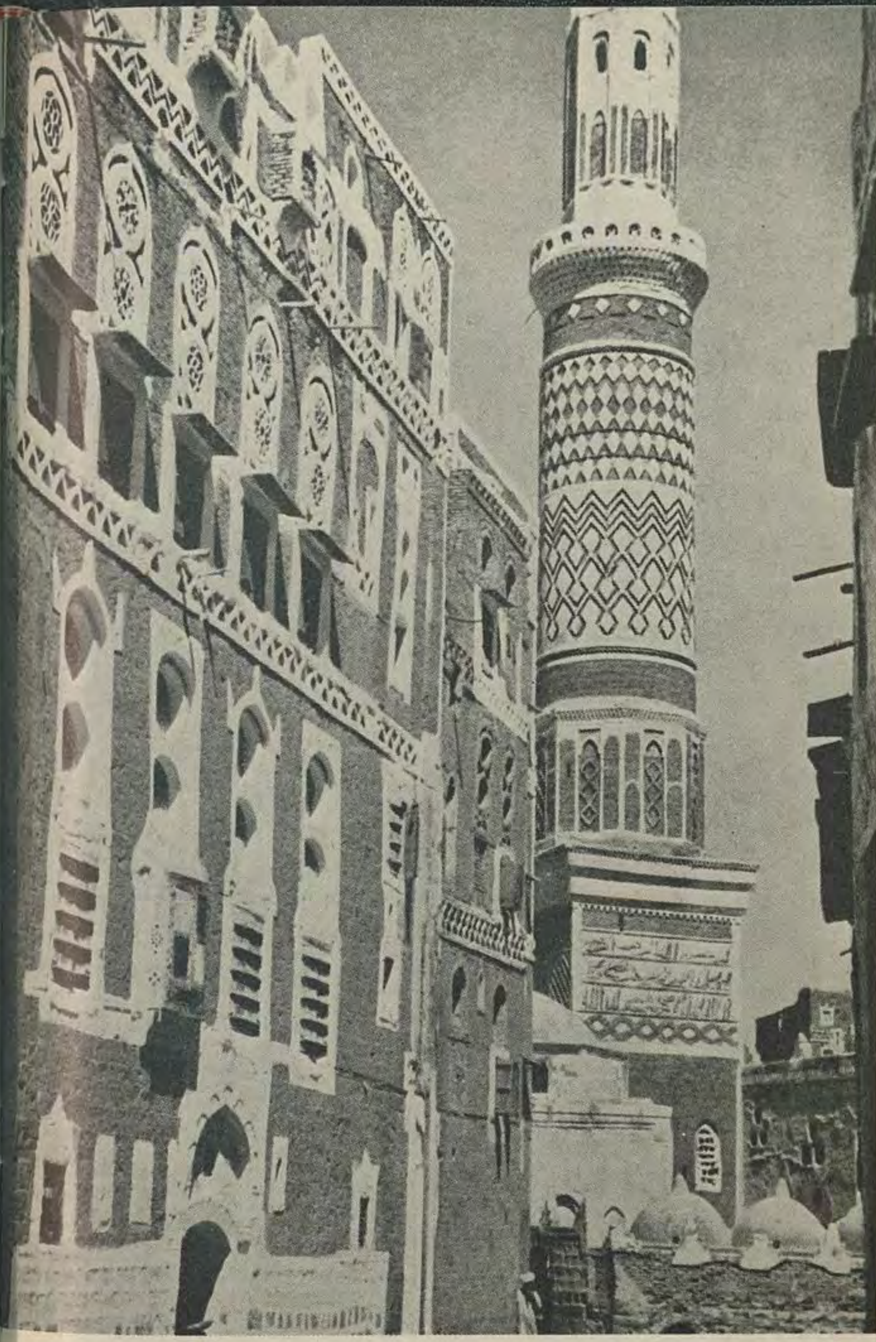
الدراسة سنية صحيحة وإن كانت خالية من الابتكار. وعلى ذكر هذا الكتاب نقول إن إمام اليمن كان يأمل أن ينشره بجميع أجزائه، بل إنه رغب فى الأمر المرحوم الملك فؤاد، وقد عين وقت للنشر، بل إنه صدر إعلان عن ذلك النشر، ولكن واحسرتاه، لم يظهر الكتاب حتى الآن. ويمكننا أن نقول بصفة عامة إنه يبدو أن اليمن فى العصور الوسطى، على الرغم من الطابع الخاص الذى امتازت به مؤلفاتها، لم تتمخض عن حركات أدبية مبتكرة أو ذات نباهة عظيمة. ولعل خير ما يوضح لنا اتجاه الناس نحو العلم، من حيث هو إجلال واحتفاظ للمعلومات، هو البيت الآتى الذى قاله شاعر مغمور وأنشدنيه أحد أصدقائى :

العلم يعلى بيوتا لا أساس لها والجهل يدنى بيوت العز والشرف

وبما أن اليمن اليوم بلاد ما زالت إلى حد كبير فى العصور الوسطى، تتحرك الهوينى نحو الحياة العصرية السائدة فى سائر العالم، لم يكن هناك بد من أننا نجد ما ينشر فيها اليوم من الكتب يشبه كثيرا فى طابعه تلك الكتب التى أخرجتها فى العصور الوسطى.

الطباعة والمطبوعات فى اليمن.

فى صنعاء اليوم مطبعتان، إحداهما فى القصر الملكى المسمى «مقام الامام» أو «المقام الشريف». وهى هناك منذ العهد التركى، وكانت تستعمل فى طبع الجريدة «صنعاء» التى سنتحدث عنها فيما بعد. ومع أن هذه المطبعة كانت على ما يظهر تطبع بعض الكتب الصغيرة فى الحين بعد الحين، ليس لدينا بيان عن مبلغ ما أخرجته من المطبوعات. والمطبعة الأخرى ملك لادارة المعارف. وفى خلال العشرين سنة الماضية طبعت هاتان المطبعتان عددا محدودا من الكتب، ربما لا يتجاوز الثلاثين عدا؛ ومن المرجح أن قليلا من تلك الكتب خرج خارج البلاد نفسها. وتدل موضوعات تلك الكتب على مبلغ اشتغال الناس بالشئون الدينية، مما تمتاز به المنطقة الجنوبية لجزيرة العرب، وتشجعه حكومة إمام اليمن.



مأذنة مسجد صلاح الدين فى صنعاء .

وتشتمل الكتب المطبوعة هناك على بحوث قرآنية، ورسائل فى مذهب الزيدية، والفقه، والحديث وما إلى ذلك، وهى فى الغالب طبعات لكتب قديمة من كتب المؤلفين السابقين.

وفى العلوم المدنية شغلت إدارة المعارف نفسها بجمع مواد لاخراج كتاب فى تاريخ اليمن يمكن استخدامه فى المدارس كتابا مدرسيا. وقبل إعلان هذه الحرب كان تحت الطبع كتاب فى تاريخ الامام يحيى. وقد بلغ من ارتباط الأسرة الزيدية المالكة ببلاد اليمن وما جرى لها، سواء فى طول المدة أو وثاقة الصلة، ما جعل هذين الكتابين على شاكلتهما ضربا من الدعاية للأسرة الحاكمة، ومن المرجح أن ذلك سيساعد على خلق روح القومية فى البلاد. ومما يشغل بال حكام اليمن اليوم التربية والكتب المدرسية، وهى مشكلة من المحتمل أن تزداد إلحاحا على مرور الأيام. فأطفال المدارس الأولية مثلا قلما يستعملون كتبا مطبوعة، وإن كانت مدارس صنعاء تستعمل إلى حد ما كتاب «القاعدة البغدادية» لعيسى البابى الحلبى، كما أن لدى إدارة المعارف مجموعة صغيرة من المطبوعات المدرسية. وفى «المدرسة العلمية» يكاد الطلاب لا يستعملون سوى المخطوطات التى ينسخونها بأنفسهم. وطبع كتاب فى قواعد اللغة أو علم النحو، وكذلك كتاب مؤلف فى القرن العاشر اسمه «كتاب العلماء والتعلمين» وهو يبحث فى آداب المعلمين والطلاب، ويبحث هذا الكتاب كذلك فى طريقة الخط ونسخ المخطوطات. وحسبنا فى أنه رؤى أن هذا الكتاب يستأهل الطبع دليلا على نوع التربية التى ما زالت سائدة هناك، فان البلاد التى أخذت بنصيب أوفر فى التقدم لا ترى فى مثل هذا الكتاب ما يزيد كثيرا على قيمته التاريخية من حيث هو أثر من الآثار. وبانقطاع علماء اليمن عن الاتصال المباشر بسائر البلاد العربية، بعوامل البيئة الجغرافية والاعتبارات المذهبية، أصبحوا على غير شاكلة العلماء فى البلاد الأخرى.

على أن مطبعتى صنعاء أخرجتا عدة كتب فيها روح جديدة — فهناك

كتابان فى الفنون الحربية، وكتاب فى الزراعة . وقد ظهر الكتابان الحربيان فى سنتى ١٣٤١ و١٣٥١هـ . واسم أولهما «كتاب التربية العسكرية»، ومؤلفه هو حسن تحسين باشا، وهو رجل سورى كان فى وقت من الأوقات قائدا للجيش الهاشمى. وبين سنتى ١٩٣١ و١٩٣٣م كان هذا الضابط فى اليمن يعيد تنظيم جيش الامام، والقواعد التى وضعها فى هذا الكتاب تدل على درجة أعلى فى تنظيم الجيش مما هو قائم الآن، ولكنها تؤمل مجىء وقت تتحسن فيه الادارة الحربية .

أما كتاب « رسالة فى فن زراعة الأشجار المثمرة » فكان من تأليف أحمد واصف بك، المستشار الزراعى فى الحقبة التى فى سنتى ١٩٣٥ و١٩٣٦م . ويعالج الكتاب، كما يدل عليه عنوانه، موضوع زراعة الفواكه واستخدام الوسائل الزراعية . وكان الأتراك فى مدة احتلالهم لليمن قد قاموا بتجارب متقطعة فى إدخال محاصيل جديدة فى البلاد، وقد احتذى البيت المالك حذوهم فى القيام بتجارب أخرى من طرفه، وعلى الأخص فى زراعة القطن . ولا شك أننا سنرى فى المستقبل الكثير من هذه المطبوعات الفنية والعلمية .

ومن المعلوم أن كثيرا من المؤلفات القيمة بأقلام بعض اليمنيين قد ظهرت فى القاهرة حيث تقطن جالية يمنية . ومن بين هذه المطبوعات الكتب الثلاثة التى ألفها عبد الواسع، والتى تناول فيها التاريخ والجغرافية والشئون العامة التى تشوق القارئ . ونحن نؤمل أن يأتى اليوم الذى يستطيع فيه هؤلاء المؤلفون اليمنيون أن ينشروا مؤلفاتهم فى وطنهم . وسنرى أن معظم المؤلفات التى تنشر اليوم عن الجنوب الغربى لجزيرة العرب إنما تنشر فى مصر، أو الهند، أو جزائر الهند الشرقية.

عدن وطلائع الحركة الحديثة .

تختلف عدن اختلافا عظيما عن اليمن وعزلتها الجذابة التى خلفتها فى القرون الوسطى، بما فيها من الجو العلمى الذى يستمد من مائة سنة





الأعلى : منظر لميناء مقلة . فى الأسفل : منظر أخذ من الجو لقسم من الصحراء
اقليم اليمن .



منظر أخذ من الجو لمقلة . ومقلة هى أكبر الموانى فى جنوب بلاد العرب وأكثرها نشاطا ما عدا عدن .

كانت فيها عدن على اتصال مباشر بالبلاد الأوربية، وبمصر، والهند؛ وبمدارسها الثانوية للبنين والبنات؛ ويعلم فى مدارس البنين معلمون من البلاد العربية الأخرى كسورية، وأحيانا من الهند؛ وبالعدد المتزايد الذى ترسله من أبنائها إلى جامعات القاهرة وبغداد . ويطالع الأهالى الجرائد المصرية الشهيرة، بل إننى كثيرا ما رأيت كذلك روايات مصرية فى أيدى المتعلمين فى المدارس الثانوية من أهل عدن، ومما لا شك فيه أن الجالية السورية المؤلفة من مستوردى المنسوجات والتجار تستورد كذلك الجرائد السورية، وما نعهده فى السوريين وميلهم للاشتغال بالصحافة يدعو إلى الظن بأنه فى يوم من الأيام قد يقوم أحد السوريين بنشر جريدة فى عدن . وليس هناك مفر من أن الصحافة تنتعش فى مثل ذلك الجو، وتصدر جريدة «فتاة الجزيرة» منذ أواخر سنة ١٩٣٩ . وكان فى عدن قبل سنة ١٩١٤ ثلاث مطابع، وكانت إحداها فى السجن وربما كانت تقتصر على طبع المطبوعات الحكومية؛ وليس من المعروف مدى ما نشرته المطبعتان الأخريان من الكتب العربية، ولم أستطع أن

أعثر على أى مطبوع عربى صادر عنهما . على أنه قبل الحرب الحاضرة أخرجت مطبعة الهلال فى بازار بهرة — وهى تطبع بكل من اللغتين العربية والانكليزية — مجموعة شعرية وصلت إلى يدى، وهى ديوان لأغانى لحج على أوزان بحور الشعر القديمة والبحور المولدة، من نظم الأمير فضل بن على . وقد أعيد طبع هذا الديوان فى مطبعة فتاة الجزيرة ؛ وقد طبعت هذه المطبعة أيضا رسالة فى إباحة العود والرباب لنفس المؤلف المذكور. ولعل القراء يذكرون أن الموسيقى محظورة فى اليمن إذا استثنينا جوقات الموسيقى الحربية، وهذا الكتيب ينادى بنظرة تسامحية فى شأن الموسيقى .

وقد نشر محرر فتاة الجزيرة عدة كتيبات أخرى شائقة، على أن عددا منها — كما هو الشأن فى مطبوعات مطبعة صنعاء — يتناول التاريخ، والبحوث الدينية، وسير الصالحين، ككتاب «سلالة قحطان»، تأليف محمد سعيد الأصبحى . وأهم ما نشر من الوجهة الصحافية هو سلسلة مقالات كتبها أعضاء النادى المعروف باسم «أقلام المخيم»، وهى مقالات تتناول موضوعات شتى، مثل الكشافة، والمذياع (فان عدن لها محطتها الاذاعية الخاصة «صوت الجزيرة» وهى كذلك تنشر صفحة عن إذاعتها)، وحياة صيادى السمك على الساحل الجنوبى لجزيرة العرب؛ وكل هذه الباحثات كتبت بأسلوب نقدى علمى . وقد أخبرنى محرر فتاة الجزيرة، فى رسالة بعث إلى بها حديثا، أن هناك كثيرا من اليمنيين فى عدن يرغبون فى نشر كتب ألفوها، وفى هذا دليل على مبلغ العناية التى ينالها الأدب فى هذه المنطقة من العالم العربى . ولا يسعنا إلا أن ننوه بعناية الجالية الهندية المسلمة فى عدن بالأدب العربى، ولا سيما عبد الله يعقوب خان الذى هو حجة فى تاريخ ثغر عدن، والذى نشر كتبا عن جغرافيته وأمثاله . وقد ورد ذكر الهنود القاطنين بالثغر قبل زمن أبى مخرمة الذى يشير فى كتابه «تاريخ ثغر عدن» عدة مرات إلى نشاطهم التجارى .

وخليق بالقراء الذين أخذوا من الحضارة بنصيب أوفى، من أهل مصر وسورية اللتين مضى على قيام النهضة العربية فيهما عهد طويل – خليق بهؤلاء القراء ألا ينقدوا هذه المطبوعات نقدا حديثا على وفق المقاييس العالية للانتاج الأدبى السائد فى بلادهم ؛ بل عليهم أن يعدوها نواة الانتاج الأدبى الذى تقدمه بلاد الجنوب الغربى لجزيرة العرب إلى الثقافة العربية . ولنتذكر أن جمعيات المناظرة التى من طراز « نادى المخيم » كانت ذات أثر فعال فى القرن الماضى فى قيام النهضة الثقافية العربية فى سورية ؛ ونحن نرى اليوم فى عدن عوامل التقدم هذه تخلف آثارها .

(وسأعالج فى مقالتى الآتية الأدب فى حضرموت والصحافة فى الجنوب الغربى للجزيرة العربية .)

جامع المدرسة فى صنعاء وهو مبنى على الطراز العربى اليمنى والمأذنة تعلوها حمامة معدنية .

فى البحث عن دنيا مفقودة

بقلم ستابلتون رويل

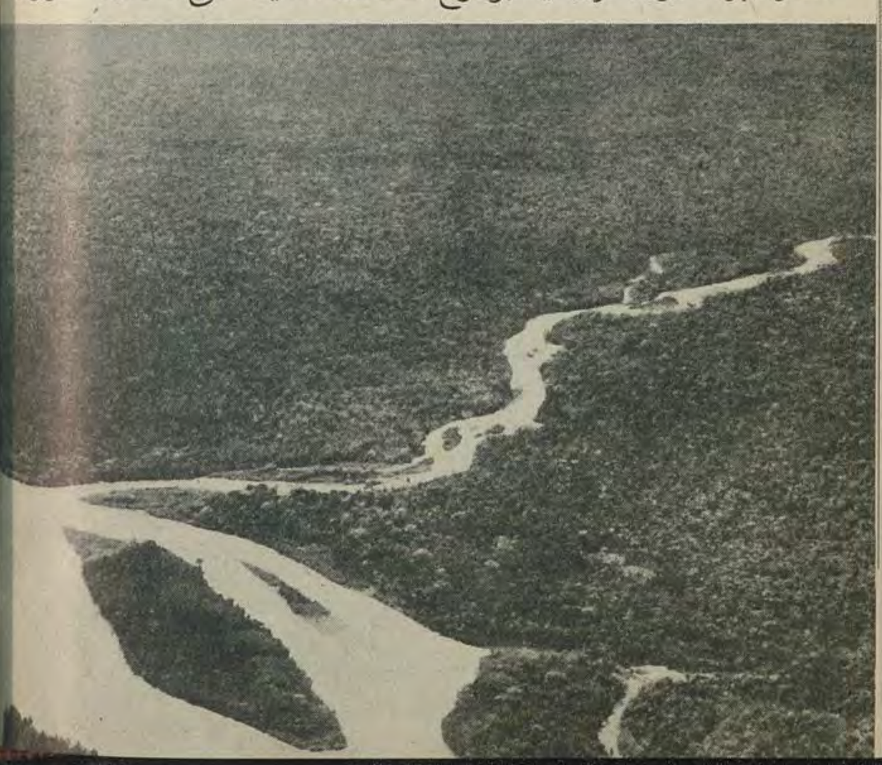
لقد ذهبت هباء البحوث التى عملت للاهتداء إلى سر اختفاء اللفتنانت كولونل ب . ه . فوسيت (D.S.O.)، كما طاح الخيال بأصحاب الآراء عن اختفاء ذلك الرجل الذى وثب فى سنة ١٩٢٥ من المدنية إلى منطقة تكاد تكون مجهولة تمام الجهل للانسان، فقد اصطحب ابنه جاك ورجلا إنكليزيا آخر اسمه رالى ريميل – وكلا الأخيرين كان فى مستهل العقد الثالث من عمره – واندفع معهما فى داخلية السهل البرازيلى الأوسط، ثم لم يسمع عنهم خبر .

ولقد تجمع حول أمريكا الجنوبية، بمرور السنين، أقاصيص خلابة عن بدائع جمالها والمجازفات التى حدثت فيها، عن قبائلها المفقودة التى تقوم بطقوس وشعائر غريبة، عن معابدها الضخمة وأهراماتها التى يتعبد فيها كهنتها ببهاء الصوفية والمراسم البالغة، عن الثروات الخرافية الدفينة، عن الغابات التى ينبعث بخارها من حرارتها ورطوبتها، والتى تتكاثف أوراق أشجارها تكاثفا يحجب ضوء الشمس أن يتخلل أعالى الأشجار، عن الأنهار السريعة التى تجرى من خلال الأدغال الكثيفة، عن الأفاعى الهائلة والتماسيح والأسماك التى تأكل البشر، عن الطير والفراش النادر ذى الألوان العجيبة، وعن التاريخ المحلى الشائق الذى جمعته ونشرته قبائل تدعى انحدارها من أصول وأنساب قديمة . تلك هى القصص التى عاد بها المغامرون المهرجون ولصوص البحر، الذين كانوا ينشرون الذعر فى البحار فى أيام دريك وفروبيشر، كما كان يذيعها الرحالة المغامرون من الأسبانيين والبرتغاليين الذى كانوا يبحرون فى زوارقهم الخشبية الصغيرة للبحث عن دنيا جديدة لفتحها .

على أن فوسيت لم يكن فى رحلة عادية حينما خرج باحثا عن «الدنيا المفقودة» . ومن القصة التى نتجت عن تلك الرحلة، أو بالأحرى مما يمكن جمعه من أخبار تأثر خطوات فوسيت، تتألق أشعة الخيال والمغامرة تألقا وهاجا .

ولعل مـا يعرف عن المنطقة الداخلية لماتو غروسو (وهى ولاية تقع إلى جنوبى مستنقعات نهر الأمازون) هو أقل مما يعرف عن أية منطقة أخرى مسكونة فى العالم، تقاربها فى مساحتها . وهى الآن، كما كانت فى سنة ١٩٢٥ ، أرض بكر معظمها . فبين نهر أراغوايا ونهر إكسينغو (وهو رادف من روادف الأمازون)، وبين نهر إكسينغو ونهر تاباجوس تقع بقاع كبيرة من مناطق الغابات التى لم يحاول اختراقها حتى الآن رجل من الجنس الأبيض . والتفكير فى مثل هذه البلاد قد يجمح بخيال الانسان

منظر لنهر الأمزون ترى فيه بوضوح الأدغال الكثيفة التى لا تكاد تخترق.



بمايصور له وجود وحوش ترجع للعهود السابقة للتاريخ، وهنود بيض، وبحيرات هائلة، ومدن مخربة ومعابد متقنة البناء، أو يصور له وجود الثروة الدفينة التى كانت فى يد الانكاس، وهم ملوك بيرو القدامى، والتى ما زالت تنتظر من يكشفها فى تلك المناطق التى لم تطرقها قدم المستكشفين.

وقد اختار فوسيت أن يستكشف المدن المخربة، فقد كتب قبل اختفائه بمدة قصيرة أنه كان قد اطلع على وثيقة فى سجلات متحف ريو دى جانيرو، وكانت تلك الوثيقة هى المذكرة اليومية لبعثة استكشافية برتغالية تاريخها سنة ١٧٤٢، وتنص على أنها كانت قد استكشفت، بعد عبورها سلسلة جبال وعرة كثيرة الهوات فى قلب السهل الأوسط، صعيدا غنيا كان فى الأصل مدينة خربت، وهجرها أهلها فليس فيها أحد، ومبانيها تفوق فى القدم مبانى قدماء المصريين. وتقول البعثة البرتغالية إنها وجدت كذلك دهاليز آبار مناجم عتيقة فى القدم، وأن الذهب وفير فى حوض النهر الذى فى المنطقة، وأنها رأت رجلين لون بشرتهما أبيض ولهما شعر أسود طويل، وهما من غير شك من قبيلة تسكن السهل الأوسط بشهادة روايات سابقة لرواية البعثة البرتغالية. ومن سوء الحظ أن المستكشفين البرتغاليين أصابتهم نكبة واختفوا؛ ولكن تقريرهم وصل إلى نائب الملك البرتغالى فى باهيه على يد رسول عداء. ولم يسمع بعد ذلك شىء عن البعثة. وتصف هذه الوثيقة المدنية المخربة وصفا مزودا بكثير من التفصيل، بل إنها مذيلة بصور منسوخة عن الكتابة الهيروغليفية التى رأوها على بعض الحيطان. وتنص الوثيقة على أن المبانى كانت عمارات ضخمة مشيدة بكتل كبيرة من الصخر، وأنه من الواضح أن تحطمها كان نتيجة الزلازل.

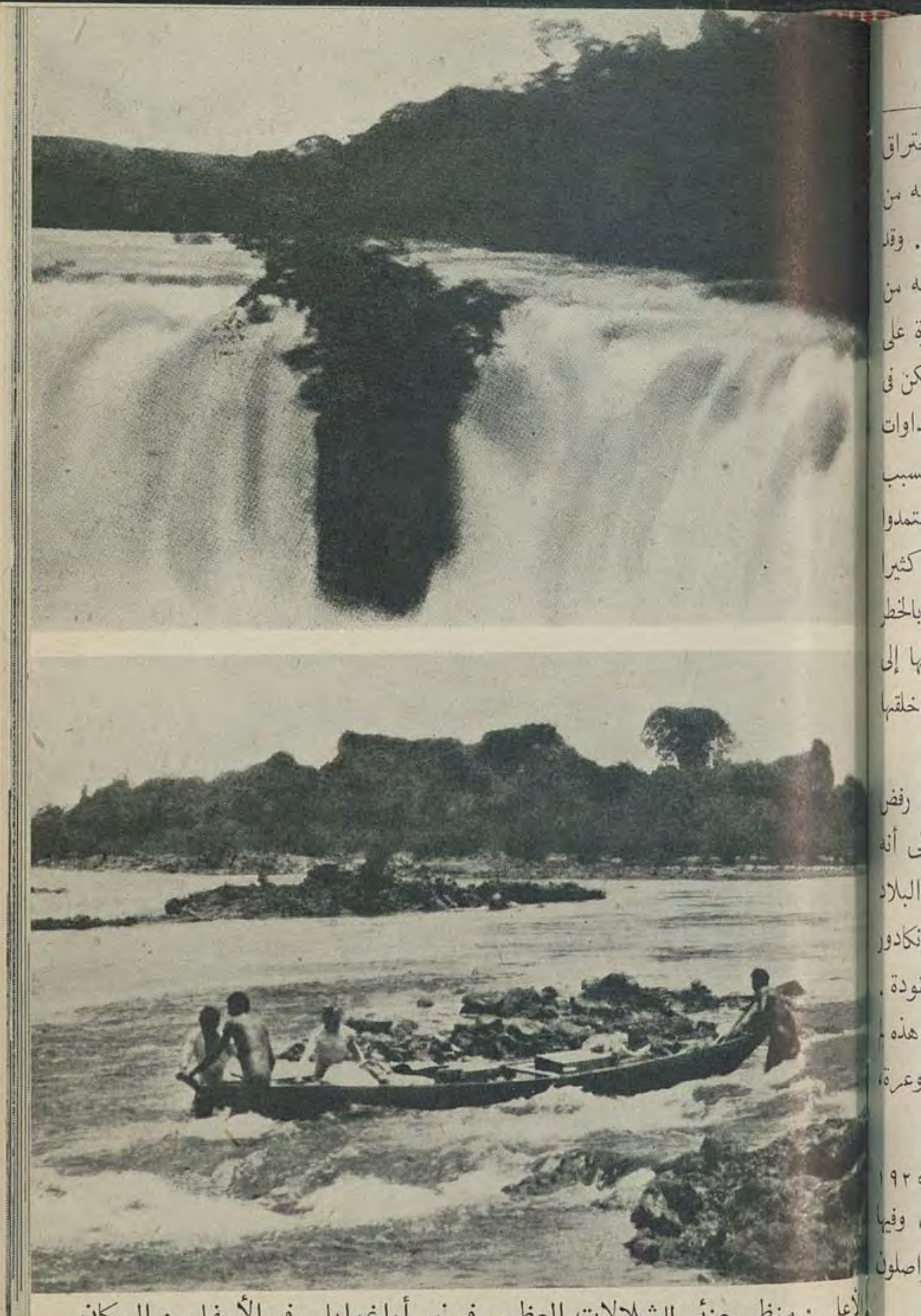
وقد أشعل هذا الوصف الجلى خيال فوسيت، فوضع خطته سرا على أن يقوم بهذه الرحلة المحفوفة بالمخاطر ليشاهد تلك المدنية المفقودة ثم يعود بأسرارها.

وكان لفوسيت تاريخ مجيد فى الجيش البريطانى، وكان فى سنة ١٩٢٠

قد حاول — من بين ما قام به من المغامرات — محاولة مخفقة فى اختراق المناطق التى تقع شمالى كويابا، عاصمة ولاية ماتو غروسو، فكان له من تجاربه السابقة ما أعده إعدادا طيبا للسفر فى داخلية البرازيل. وقد أدرك بادئ بدء أن رحلته ستكون شاقة، على ما كان متصفا به من الشجاعة التى لا تقهر، وعلى ما كان موهوبا به من القدرة النادرة على احتمال المشاق. وقد حمل هو ورفيقاه مؤونتهم وعدداتهم — ولم يكن فى إمكانهم أن يعتمدوا على حمال من الوطنيين يرافقهم بسبب العداوات التى بين القبائل، كما لم يكن فى إمكانهم الاعتماد على بغال أو خيل بسبب كثافة الغابات وانتشار الحشرات التى تفتك بالحيوانات. وقد اعتمدوا طبعا على القنص البرى فى جزء من طعامهم، ولكن ذلك لم يكن كثيرا بحال من الأحوال. ولا شك أنهم سافروا خفافا عيابهم خفة محفوفة بالخطر فى رحلة كهذه مليئة بالمجازفات، ومعتمدة على وثيقة يرجع تاريخها إلى أكثر من مائتى سنة وعلى مجموع الاشاعات التى تنافس فى خلقها المختلقون، وتراكمت على مر الغداة وكر العشى.

ولم تعرف خطط فوسيت، حتى اليوم، إلا فى شكلها العام، فانه رفض أن يعلن طريقه إلى تلك البلاد المجهولة. وكانت خطته ترمى إلى أنه بالقرب من خط العرض ١٠ جنوبا، يتحول إلى الشرق مجتازا البلاد المجهولة بين نهرى إكسينغو وأراغوايا، وهناك — فى سيرا دى رونكادور (أى الجبال ذات الغطيط) — كان يتوقع أن يجد مدينته المفقودة. واليوم قد أثبتت الملاحظة والمساحة بالطيارات أن سلسلة الجبال هذه لم تكن إلا خيالا. ومن البين أن رحلته كانت شاقة، ومخاطرة، ووعرة، وخاصة بعد أن ترك الأنهار.

وكانت آخر الأخبار التى وصلت منه بتاريخ ٣٠ مايو سنة ١٩٢٥ عند ما أرسل آخر رسالة إلى جريدة من جرائد أمريكا الشمالية، وفيها يقول إنه صرف الدليلين اللذين كانا رافقا فرقته، وأنه وزميليه سيواصلون السير منفردين، ومنذ هذه النقطة لم تصل عنه معلومات يوثق بها.



الأعلى : منظر جزئى للشلالات العظمى فى نهر أراغوايا . فى الأسفل : السكان
طنيون يجرون زورقهم فى شلالات مصب نهر إكسينغو .



فى الأعلى : هندى فى زورقه المنحوت على فرع لنهر الأمزون . لاحظ النباتات الكثيفة . فى الأسفل : صيادون يخترقون أحد المستنقعات فى زرايا العظمى وقد اضطرت البعثة إلى سلوك مثل هذه الأرض الصعبة فى رحلتها .

وكان قد حذر أصدقاءه ألا يترقبوا أن يسمعوا منه أو عنه لمدة سنتين على أقل تقدير؛ غير أنه بحلول سنة ١٩٢٧ كان هناك من الأسباب الواضحة ما يدعو إلى القلق والانزعاج على مقره وسلامته . وقد فتح مصيره باب الخيال على مصراعيه، ومنذ ذلك التاريخ تقدم عدد كبير من الرجال بدعاوى خيالية يدعون بها أنهم رأوه أو أنهم يعلمون مقره .

وفى سنة ١٩٢٨ خرجت أول حملة لانقاذه، بقيادة الكوماندور جورج ديوت، فذهبت تبحث عن فوسيت، واهتدت إلى اقتفاء أثره حتى قرية على ريو كوليزو . وفى هذه البقعة سمع ديوت قصصا غامضة ومتضاربة عن مقتل فوسيت، كما سمع قصصا عن أن الهنود رأوا الدخان يتصاعد من النار أمام خيامه مدة خمسة أيام . وقد بعثت هذه الرواية ريحا قوية للشك فى هذه القصة وفى تعيين الطريق الذى سلكه فوسيت من تلك النقطة . ومن سوء الحظ أنه عند هذه المرحلة اضطر ديوت وفرقته إلى الهرب طلبا للنجاة بحياتهم من هنود ألويك، ولم يكن للبعثة بد من التخلى عن سهمتها . وكان من المشهور أن كثيرا من قبائل الهنود كانت معادية للجنس الأبيض، وربما كان هناك قدر من الحقيقة فى القصة التى تقول إن فوسيت ورفيقيه كانوا قد قتلوا .

ولم يحدث شىء منذ ذلك التاريخ حتى شهر مارس سنة ١٩٣٢ — وفى أثناء تلك المدة كان الأمل فى أن فوسيت يكون حيا يزداد من غير شك ضعفا — وفى ذلك التاريخ وصل إلى القنصلية البريطانية فى ساو باولو رجل سوسرى اسمه ستيفان راتان، يروى قصة غريبة . فقد قص أنه قبل وصوله إلى ساو باولو بخمسة أشهر، كان قد قابل — عند نقطة بالتقريب عند خط الطول ٥٧ غربا وخط العرض ١١ جنوبا — رجلا من الجنس الأبيض، متقدما فى السن، ومرتديا بجلود الحيوانات، وكان بمثابة أسير يعيش فى قرية من قرى الهنود . وقد تكلم ذلك السوسرى مع ذلك الرجل باللغة الانكليزية، وكان ذلك الرجل المسن هو الذى افتتح المحادثة باخبار راتان بأنه كولونيل فى الجيش البريطانى؛ وقد أرى راتان

خاتما ذا ختم على فصه (وقد صادقت على أوصاف ذلك الخاتم زوجة فوسيت التى رفضت، حتى بعد مضى ثمانية أعوام، أن تصدق أن زوجها قد مات)؛ وأنه ذكر لراتان رجلا اسمه باجت (وهو ممن كانوا قد مولوا بعثة فوسيت)، وتضرع إلى راتان أن يبلغ باجت خبر الورطة التى هو فيها . وقد أشار بطريقة مفجعة إلى ابنه الذى قال عنه إنه «نائم». ويقول راتان إن الهنود فى أثناء المحادثة كانوا سكارى، فلم يحاولوا التعرض لهما فى حديثهما، كما لم يحاولوا استبقاءه حينما أراد الرحيل .

والبحث فى التقرير الذى قدمه راتان إلى القنصل البريطانى، كلمة كلمة، يسفر عن كثير من التناقض والاضطراب، ومع ذلك فعليه طابع التهوش السريع وعدم التأنق — مما هو فى الغالب العلامة الحقيقية على الصدق . ومن بين الأسئلة التى تعرض للانسان لدى سماع ذلك التقرير ما يأتى : لماذا اقتصر الرجل الأبيض على ذكر رتبته فى الجيش ولم يذكر اسمه؟ ولماذا كانت المحادثة بالانكليزية فقط — وهى لغة لا يحسنها راتان؟ ولماذا لم يتحادثا بالأسبانية أو البرتغالية — وهما لغتان يحسنهما كلا الرجلين ؟ ولماذا لم يحضر راتان رسالة مكتوبة؟

ومع ذلك فقد أثار راتان وقصته اهتماما عظيما فى جميع أنحاء العالم؛ غير أن التناقض الذى كان فى قصته انتهى بها وبصاحبها إلى النسيان .

وفى سنة ١٩٣٣ خرجت بعثة أخرى لاقتفاء أثر فوسيت، وللاهتداء إلى مقره إن كان ذلك ممكنا؛ ولكن إهمال رئيس البعثة، وعدم تعاونه مع الأعضاء، وتردده، وأثرته، كل ذلك حال دون البعثة ودون القيام بشىء ذى أهمية فى بحثها عن فوسيت، عدا أنها صادقت على ما كان معروفا عن المراحل الأولى لسفره . وهكذا بمرور الأعوام تضاءل الأمل فى العثور على فوسيت حيا . ويمكن استنتاج بعض النتائج من المعلومات التى حصلت عليها البعثة الأخيرة . فالتحريات التى جمعها ديوت تدل على أن فوسيت ورفيقيه قتلوا، وربما كان قتلهم بأيدى هنود سويا، فى بقعة على مسيرة أربعة أيام أو خمسة من نهر كولوين . على أن أحد الهنود قال إنه رأى

الدخان يتصاعد من نار خيام فوسيت مدة أحد عشر يوما، وهذا الاعتراف ينقل مسئولية القتل إلى هنود أروما . ولكنه يبدو من جميع الأدلة أنه فى حكم اليقين أن بعثة فوسيت هلكت فى سنة ١٩٢٥ ، وأن هلاكها كان، على المرجح، بيد الهنود، عند بقعة لا تقل عن مسيرة خمسة أيام، ولا تزيد على مسيرة أحد عشر يوما، إلى الشرق أو الشمال الشرقى من قرية من قرى كالابالوس، قائمة على نهر كولوين إلى جنوبى رادف صغير يسمى تانغورو .

ويعتقد أحد الرجال الذين اشتركوا فى البعثة الأخيرة، اعتقادا راسخا، أن فى الامكان أن تقوم بعثة منظمة تنظيما قويما، ومجهزة تجهيزا كاملا، بهذه الرحلة المجازفة المخاطرة، بغاية النجاح، إذا بدأت سفرها فى أثناء شهر مايو — وهو بدء فصل الجفاف فى تلك المنطقة .

ولقد يبقى الغموض الذى يكتنف اختفاء فوسيت دون أن ينقشع إلى

كوخ فى الأدغال على ضفة الأمزون .





صورة لحديقة انهنغباهو فى ساو باولو. وهى المدينة التى عادت إليها البعثة بعد أن ضاعت جهودها هباء.

الأبد، ولكن خياله، ورغبته المتغلبة فى رؤية حلمه يتحقق، وشجاعته التى لا تعْرف الخور، قد دفعته إلى الاقدام على مشروعاته فى وقت لا بد أنه كان فيه على شىء من العلم بأن فرصة نجاحه كانت ضئيلة. وكان عمر فوسيت ستين عاما عند ما اختفى، ولقد يبدو من الأمور التى لا يصدقها العقل أن يفكر أى إنسان فى هذه السن فى قضاء ما بقى من عمره فى حياة لا تختلف عن حياة الوحوش فى الخلاء.

وربما طلعت علينا الأيام فى تاريخ مستقبل بمستكشف مزود بالمعدات الحديثة ووسائل النقل الجديدة، ينتزع من غابة البرازيل ذلك السر الذى تطوى عليه جوانحها، سر المصير النهائى الذى آل إليه اللفتنانت كولونل فوسيت وزميلاه، بل لعله يهتدى إلى تلك «الدنيا المفقودة» التى سالت بذكرها الأقلام، وجمح فى تصورها الخيال. وفى انتظار ذلك اليوم ليس أمامنا إلا أن نستمر فى أحلامنا الحلوة، كل يستمد من معين خياله.

المطبوعات العربية الحديثة

بقلم الدكتور ا. ج. آربرى

ما يمضى عام حتى يحمل فى طياته دلائل جديدة على القوة المتزايدة والمدى المتسع لنهضة العالم العربى فى ميدان البحث والكتابة. فهذا السيل المنهمر من الكتب الذى يتدفق من المطابع وبخاصة مطابع القاهرة لم تعرقل مجراه الصعوبات المعروفة الناجمة عن الحرب، وأهمها ندرة الورق وتعذر الحصول عليه، وهى صعوبة تعانيها بلدان الشرق الأوسط.

ويعادل هذا أهمية أن مستوى طبع الكتب آخذ فى الارتفاع. فقد مضت أيام الطبع الرخيص المكتظ، الملىء بالأخطاء، الذى كان قذى للعين وأذى للبصر. فلا يكاد يكون من المبالغة القول بأنه إذا استثنينا الصور والتجليد فان الكتاب العربى العادى فى هذه الأيام لا يقل جودة عما يطبعه الطابعون الأوربيون اللهم إلا الطبعات المخصوصة الفائقة الجودة. وإن القارئ لا يتأفف من بذل ثمن أعلى قليلا للكتب العربية حين يحصل على هذه الميزات التى توفيه ما يبذل أتم إيفاء.

فى هذا العام الهجرى — عام ١٣٦٣ — يقع العيد الألفى لذلك العبقرى العظيم المطبوع أبى العلاء المعرى، فولتير العرب. وقد أقيمت الاحتفالات بهذا العيد فى الأقطار العربية وفى الولايات المتحدة، كما احتفل به باصدار الكتب وطبع المقالات. ونذكر هنا مثلين.

سوف يقترن باسم أبى العلاء أبداً اسم الدكتور طه حسين بك. وقد دبج يراعه كتابا آخر عن ذلك الأديب الذى أثبت من عهد بعيد أنه له أبرع مفسر وخير ترجمان. وهو حدث يقابل بالترحيب والاحتفاء. ففى كتاب «مع أبى العلاء فى سجنه» يعيد الدكتور طه حسين دراسة بضع قطع من اللزوميات، كما يدرس قطعا من كتاب «الفصول والغايات» الذى وإن لم تكن له شهرة الكتاب الأول فهو لا يقل عنه امتيازا

وشأنا، ويصل الدكتور من هذه الدراسة إلى نتائج جديدة قيمة بارعة.

من زهاء أربعين عاما قام الأستاذ ر. ا. نيكلسون بتعريف القراء الانجليز بتلك التحفة الرائعة من التهكم الحر والنقد اللاذع، نعنى «رسالة الغفران» للمعرى. فالآن يأتى ج. براكنبرى — الذى قد قدم لنا من قبل ترجمته لكتاب «الأجنحة الزرقاء» وهو مجموعة قصص قصيرة لمحمود كامل — فيوجه اهتمامه إلى الأدب العربى القديم ويقوم بترجمة جديدة للرسالة. وهى ترجمة قيمة وإن كانت متفاوتة الجودة، وهى بشرى طيبة للتعاون الانجليزى المصرى، فان المستر براكنبرى يعترف بأنه مدين «لشارح كبير للمعرى هو كامل كيلانى» وكلا هذين الكتابين طبعتهما مطبعة المعارف ومكتبتها بالقاهرة.

ومن مطبعة الصادر ببيروت يصدر كتابان أحدهما كبير والآخر صغير، أحدهما جديد والآخر قديم، كلاهما من يراع ميخائيل نعيمة، من أبرع الأدباء الذين أنتجتهم لبنان، ذلك الوطن المجيد مهد النبوغ الأدبى. كان نعيمة صديقا وفيا للأديب اللبنانى الأمريكى العظيم جبران خليل جبران، والكتاب الكبير القديم هو طبعة ثانية لدراسته الشخصية والأدبية التى كتبها بعيد موت جبران. وإعادة طبع هذا الكتاب عمل يقابل بالشكر والترحيب. أما الكتاب الصغير الجديد، «همس الجفون»، فهو ديوان صغير رشيق الطبع لشعر نعيمة. وهو يحتوى على شعر عربى وعلى ترجمات نثرية عربية لبعض القصائد التى نظمها الشاعر بالانجليزية. وكل قصيدة هى درة صغيرة منتقاة. ونعيمة يجمع بين بساطة الأسلوب وعمق الفكر والتخير الموفق للألفاظ السلسة العذبة. ورسالته مزيج رائع من التشاؤم الرقيق والالهام الصوفى. وإليك مثالا لشعره:

الطريق

نحن يا ابنى عسكر قد تاه فى قفر سحيق
نرغب العود ولا نذكر من أين الطريق

فانتشرنا فى جهات القفر نستجلى الأثر
نسأل الشمس عن الدرب ونستفتى الحجر
وسنبقى نفحص الآثار من هذا وذاك
ريثما ندرك أن الدرب فينا لا هناك
وسنبقى فى انتقال وشقاء وعذاب
وصعود وهبوط، وذهاب وإياب
وسنبقى نهجع الليل وفى الصبح نفيق
ريثما نلقى مثانا — ريثما نلقى الطريق

نعود من بيروت إلى القاهرة، فنعود من الشعر الحديث إلى الشعر القديم. أصدرت مطبعة الاستقامة كتابا يحتوى على دراسات لخمسة من الشعراء الأقدمين، أربعة منهم من أصحاب المعلقات. وقد بدأ هذا العمل المرحوم محمد حسن المرصفى، وأتمه ابراهيم الابيارى وعبد الحافظ شلبى. ويتجلى ما يبذل الآن من اهتمام كبير بشعر الصحراء القديم من كتابين جديدين عن امرئ القيس، وأحدهما مطبوع فى مطبعة دار الكتب المصرية ومؤلفه الدكتور محمد صبرى وهو دراسة علمية محكمة. والثانى طبعته مطبعة المعارف وهو رواية تخيلية لسيرة الشاعر كما يتصورها المؤلف محمد فريد أبو حديد.

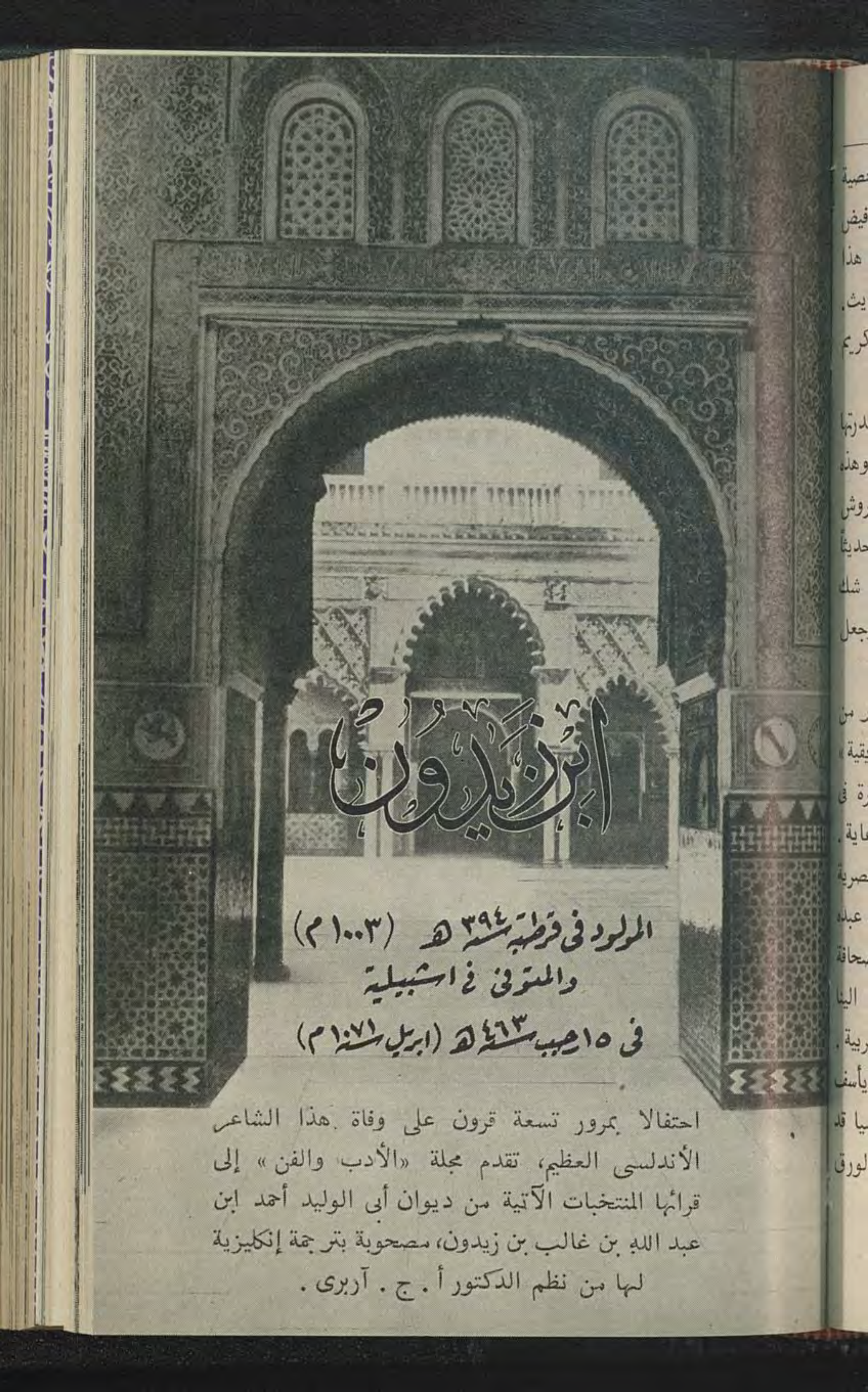
وابراهيم عبد القادر المازنى — الروائى المشهور والناقد الكبير — يكتب عن حياة بشار وشخصيته وشعره فى سلسلة جديدة (أعلام الاسلام) تصدرها لجنة ترجمة دائرة المعارف الاسلامية. وفى نفس السلسلة يكتب على أدهم رواية تاريخية عن سيرة المنصور الأندلسى. ومحمد عبد الله عنان الذى ترجم إلى الانجليزية كتابه «مواقف حاسمة فى تاريخ الاسلام»، قد ألف كتابا جديدا عن بعض الشخصيات المشهورة فى التاريخ الأوربى من لوكريزيو بورجيا ومكيافلى إلى دريفوس وبارنل. وهذا الكتاب هو «المآسى والصور الغوامض» وقد طبعته مطبعة دار الكتب المصرية.

وأحمد أمين — ذلك العلامة البارع والمؤرخ النابغ ذو الشخصية الفياضة بالانسانية الزاخرة — قد أصدر جزءا خامسا من كتابه «فيض الخاطر» يضم فيه مقالات له نشرت فى مجلة الثقافة. ومن أهم ما فى هذا الجزء مجموعة من الدراسات لكبار المصلحين الاسلاميين فى العصر الحديث. وهناك دراسة جديدة قيمة لحياة الملك فؤاد كتبها الكاتب القدير كريم ثابت وطبعتها مطبعة المعارف طبعة فاخرة.

ويجدر بنا أن نذكر من بين المطبوعات القيمة الأخرى التى أصدرتها مطبعة المعارف، سلسلة جديدة من الكتب الصغيرة تسمى «اقرأ». وهذه الكتب الصغيرة تصدر مرة كل شهر وثمن الواحد منها خمسة قروش مصرية وكثير منها كتبه أدباء ذائعو الصيت، فمما صدر منها حديثا تاريخ لدمشق من تأليف العالم السورى النابه محمد كرد على. ولا شك أنها سيقدر لها أن تلعب دورا عظيم الأهمية فى نشر المعرفة المفيدة وجعل الكتاب الأعاظم فى متناول عامة الجمهور.

ومن المطبوعات الأخرى لمطبعة المعارف كتابان يستحقان أكثر من مجرد الاشارة، وهما «حرب الصحراء المصرية» و«فى شمال أفريقية» لمؤلفهما السيد فرج، وهما دراستان بديعتان لحروب الحلفاء الظافرة فى شمال أفريقية، تمتازان بوضوحهما وبخلوهما التام من أغراض الدعاية.

ونختم عرضنا هذا بلفت الأنظار إلى تأريخ عظيم ممتاز للصحافة المصرية من بدايتها فى سنة ١٧٩٨ إلى اليوم الحاضر. فالدكتور إبراهيم عبده المدرس بجامعة فؤاد الأول بالقاهرة يضمن كتابه «تطور الصحافة المصرية» المحصول التام الكامل لبحث دقيق مجهد عميق ويقدم الينا نموذجا لما نرجو أن يؤدى إلى دراسة كاملة لصحافة كل الأقطار العربية. وقد طبعت هذا الكتاب مطبعة التوكل طبعة جيدة، ولكن المرء يأسف إذ يرى مثل هذا الكتاب الذى لا بد أنه سيصير مرجعا رئيسيا قد اضطرت ظروف الحرب ناشريه إلى طبعه على مثل ذلك الورق الردىء.



ابن زيدون

المولود فى قرطبة سنة ٣٩٤ هـ (١٠٠٣ م)
والمتوفى فى اشبيلية
فى ١٥ رجب سنة ٤٦٣ هـ (ابريل سنة ١٠٧١ م)

احتفالا بمرور تسعة قرون على وفاة هذا الشاعر الأندلسى العظيم، تقدم مجلة «الأدب والفن» إلى قرائها المنتخبات الآتية من ديوان أبى الوليد أحمد ابن عبد الله بن غالب بن زيدون، مصحوبة بترجمة إنكليزية لها من نظم الدكتور أ. ج. آربرى.

عهد

كما تشاء فقل لى لست منتقلا   لا تخش منى نسيانا ولا بدلا
وكيف ينساك من لم يدر بعدك ما   طعم الحياة ولا بالبعد عنك سلا
أتلفتنى كلفاً أبليتنى أسفاً   قطعتنى شغفاً أورثتنى عللا
ان كنت خنت وأضمرت السلو فلا   بلغت ياأملى من قربك الأملا
والله لا علقت نفسى بغيركم   ولا اتخذت سواكم منكم بدلا

FIDELITY

Say what thou wilt to me, thou'lt never prove
Inconstancy or fickleness in me :
For how should I betray, or changeful be,
Since all my joy in living is thy love ?
No passing consolation can remove
The pain thy parting wrought, the misery
Of passion thwarted, the infirmity
Of this sick heart condemned uncured to rove.

Heed now my prayer : if ever I betrayed
The troth I pledged to thee ; if I have ta'en
Delight in other lips ; if I have made
New secret loyalties to be obeyed :
Then let my fondest hopes be proven vain,
Nor may thy presence gladden me again.

In commemoration of the ninth centenary of the death of this great Andalusian poet, " al-Adab wa'l Fann " presents to its readers the present extracts from the Diwan of Abu 'l-Walid Ahmad ibn 'Abd Allah ibn Ghalib Ibn Zaidoun, with English translations by A. J. Arberry.

فى بعض مجالس الأنس

يأيها الملك الجليـ ـل بكل ألسننا جلالك
انظر الى محتلنا قد زان ساحته احتلالك
نهر وروض نحن بيـ ـنهما تفيئنا ظلالك
قد فاض فى هذا ندا ك ونعمت هذا خلالك

A SONG FOR THE KING

O let our tongues thy power proclaim,
Great king, and celebrate thy name !
Behold, thy presence in this place
Doth lend our vast assembly grace ;

Within this cool and watered glade
We bask in thy protective shade ;
Thy bounteous gifts our spirits bless,
Thy virtues are our happiness.

أترع الكأس

أدرها فقد حسن المجلس وقد آن أن تترع الأكؤس
ولا بأس إن كان ولى الربيع اذا لم تجد فقده الأنفس
فان خلال أبى عامر بها يحضر الورد والنرجس

FILL EVERY GLASS

Fill up, and let the wine run free,
For merry is our company :
No gayer season could be found
To give the brimming beaker round.

Small cause is there, tho' spring be fled,
For hearts to be dispirited ;
The tender beauties of these bowers
Excel by far his faded flowers.

فى الغزل

أيوحشنى الزمان وأنت أنسى ... ويظلم لى النهار وأنت شمسى
وأغرس فى محبتك الأمانى ... فأجنى الموت من ثمرات غرسى
لقد جازيت غدراً عن وفائى ... وبعت مودتى ظلماً ببخس
ولو أن الزمان أطاع حكمى ... فديتك من مكارهه بنفسى

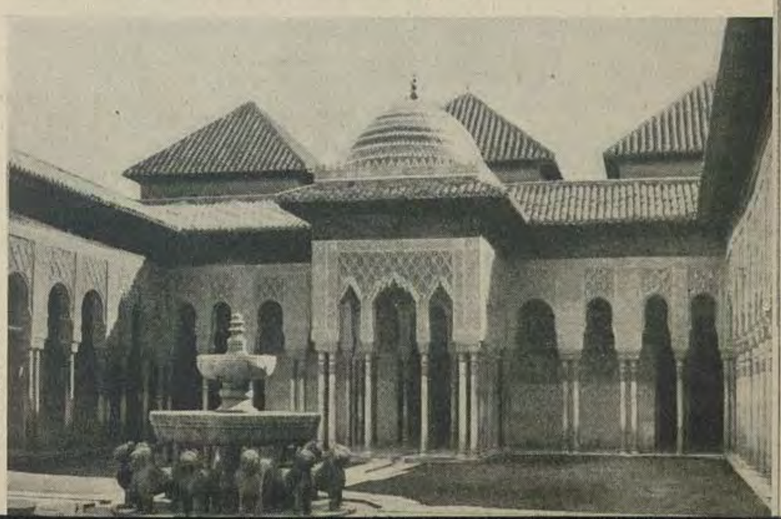
MY LIFE FOR THINE

Can time cast sorrow in my heart
When thou my joyous comrade art ?
Or shall my day be turned to night,
While in thy radiance I delight ?

I set my seed in thy love's bower,
And watched to see my fond hopes flower ;
But all the harvest of my faith
Is withered dreams and fancy's death.

'Twas faithlessness I won from thee
As wage for my fidelity :
My gift of love by thee was sold
For little gain of yellow gold.

Yet, though thy wilfulness and sin
Are proved my woes' sole origin,
This one reward I seek to take—
To yield my life for thy dear sake.



بلاط الأسود فى قصر الحمراء بغرناطة .

بقاء على العهد

جازيتنى عن تمادى الوصل هجرانا   وعن تمادى الأسى والشوق سلوانا
بالله هل كان قتلى فى الهوى خطأً   أم جئتــه عامداً ظلمـاً وعدوانا

. . . .

ا صح ودى إلا اعتل ودك لى   ولا أطعتـك الا زدت عصيـانـا
يا ألين الناس أعطـافاً وأفتنهم   لحـظاً وأعطر أنفـاساً وأردانـا
حسنت خلقاً فأحسن لا تسؤ خلقاً   ما خير ذى الحسن إن لم يول إحسانا

FAIR OF HEART

Thus thou hast rewarded me—
Exile for fidelity ;
For a constant heart and true
One brief joy, and then, adieu !

Tell me this, and tell me plain :
I that was by passion slain—
Was it chance that ruled my fate,
Or design deliberate ?

When my love was strong and hale,
Then did thine grow faint and ail ;
When I speeded to obey,
All the more thou saidst me nay.

Loveliest of beings, thou,
Soft to touch, divine to view,
Glance that all enchantment knows,
Breath more fragrant than the rose ;

Very fair God fashioned thee :
Fair let all thy dealings be ;
If thou prove not fair of heart,
What care I, how fair thou art ?

موقف وداع

ولما التقينا للوداع غدية   وقد خفقت فى ساحة القصر رايات
وقرنت الجرد العتاق وصفقت   طبول ولاحت للفراق علامات
بكينا دماً حتى كأن عيوننا   لجرى الدموع الحمر فيها جراحات
وكنا نرجى الأوب بعد ثلاثة   فكيف وقد كانت عليها زيادات

PARTING

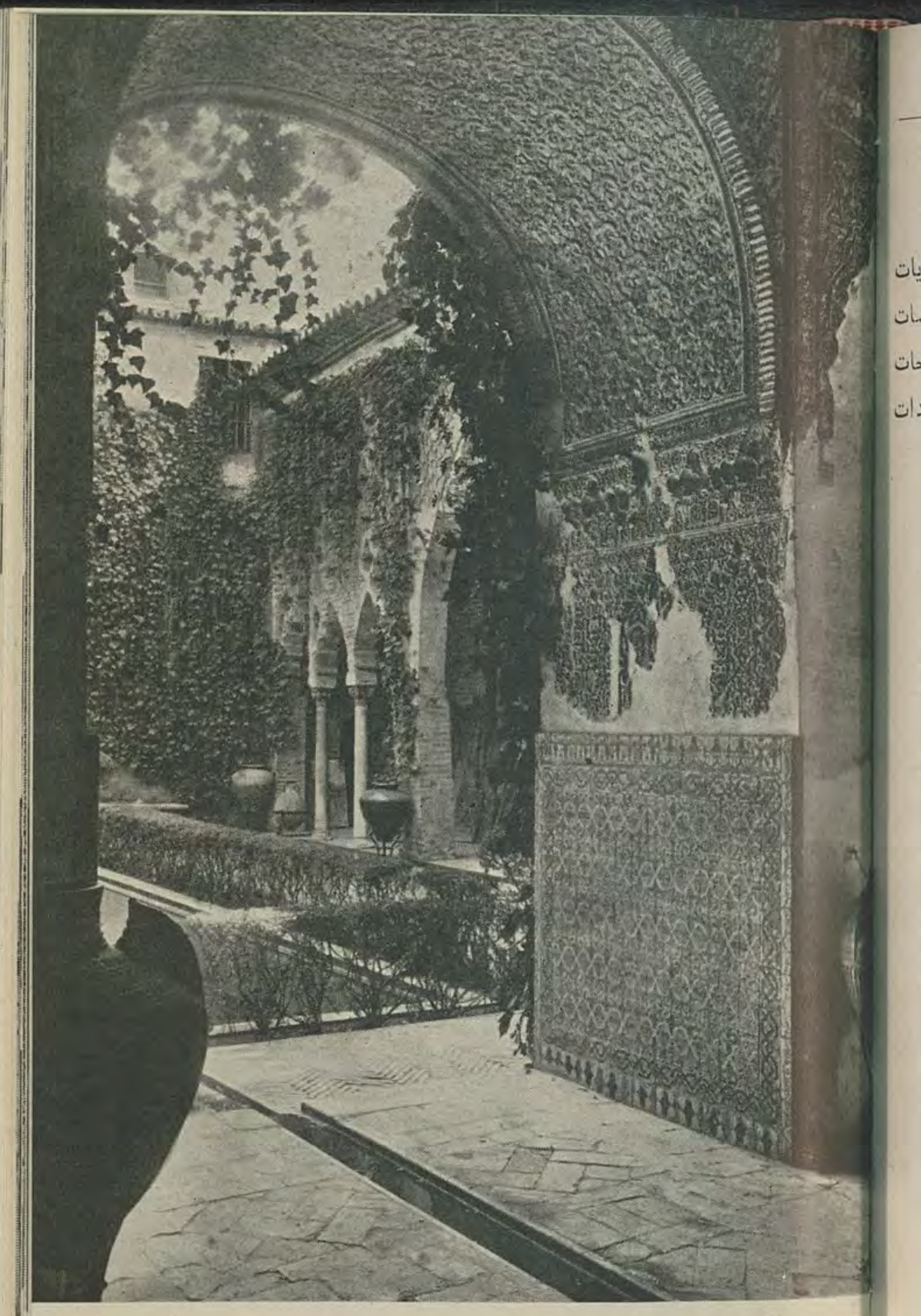
And when we met at morn to say good-bye,
And the bright pennants fluttered to the sky
Above the castle's tow'ring battlements,
And the proud steeds were matched, and thro' the tents
The drums of parting rolled, what tears of blood
Streamed from our eyes, as if their crimson flood
Welled from deep wounds that seared the very heart.
And then I said : " If now we have to part,
Yet in three days I look for thy return "
So spake my hopes : but now my heart doth burn
These thrice three nights, and still no sight of thee ;
And ah, the anguish that consumeth me !

يوم بوصل ساعة

بالله خذ من حياتى   يوماً وصلنى ساعه
كيما أنال بقرض   ما لم أنل بشفاعه

USURY

Now take, I beg thee, of my life a day,
  And give me in return an hour with thee :
So usury upon my loan will pay
  What intercession failed to gain for me.



باتيو دى لا يزيريا فى القصر باشبيلية .

وضح الحق

وضح الحق المبين　　ونفى الشك اليقين
ورأى الأعداء ما غـ　　ـرتهم منه الظنون
أملوا ما ليس يمنى　　ورجوا ما لا يكون
وتمنوا ان يخون الـ　　ـعهد مولى لا يخون
فاذا الغيب سليم　　وإذا الحب مصون

THE TRUTH IS OUT

Now the truth at last is out,
Certainty has banished doubt ;
Now mine enemies have seen
How deluded they have been,
And that when with morbid will
They desired my utmost ill,
Hoped that I, the staunchly true,
Should prove false, and traitor, too.
They accounted far too light
Duty's call and friendship's right.



خارج المسجد الجامع بقرطبة.

الى حبيب

يا ظبيـة لطفت منى منـازلهـا   فالقـلب منهن والأحداق والكبد
حى لك الناس طراً يشهدون به   وأنت شاهـده إن يثنهم حسـد
م يعزب الوصل فيما بيننـا ابداً   لو كنت واجدة مثـل الذى أجـد

O FAIR GAZELLE

O fair gazelle whose charms do dwell
  Within mine eyes, my heart, my soul,
My love for thee, as all may see,
  Is single, pure, entire and whole.

So all declare who witness bear,
  And thou thyself a witness art :
Let envy blind the jealous mind,
  It cannot hurt the loving heart.

If half the fire of my desire
  Had burned and blazed within thy breast,
There never were a barrier
  Betwixt my yearning and my rest.

هل أصادف خلوة

ألا ليت شعرى هل أصادف خلوة   لديك فأشكو بعض ما أنا واجـد
عى الله يوماً فيه أشكو صبابتى   وأجفان عينى بالدموع شواهـد

PASSION'S LAY

Ah, when will our long parting cease ?
And shall I ever win to peace,
That I may pour into thine ear
My anguished tale of yearning drear ?

I pray God grant us such a day,
When I may chant my passion's lay,
And from mine eyes the salt tears start
To witness to a loyal heart.



مرادور دى لنكرايا فى قصر الحمراء بغرناطة . ويمكن رؤية باتيو دى درا
من خلال النوافذ .

كن كيف شئت

يا غزالا أصارنى   موثقاً فى يد المحن
اننى مذ هجرتنى   لم اذق لذة الوسن
ليت حظى إشارة   منك أو لحظة عنن
شافعى يا معذبى   فى الهوى وجهك الحسن
كنت خلواً من الهوى   فأنا اليوم مرتهن
كان سرى مكتما   وهو الآن قد علن
ليس لى عنك مذهب   فكما شئت لى فكن

THY WILL BE DONE

Sweet gazelle that castest me
  Fettered in affliction's keep,
Not an hour, since losing thee,
  Have I culled the sweets of sleep.

Ah, that I might have a sign,
  Just one glance of thy dear face !
Of my tortured love I pine :
  Let my pleader by thy grace.

Formerly I dwelt alone,
  Innocent and fancy-free ;
Since thy beauty I have known,
  Whither fled my liberty ?

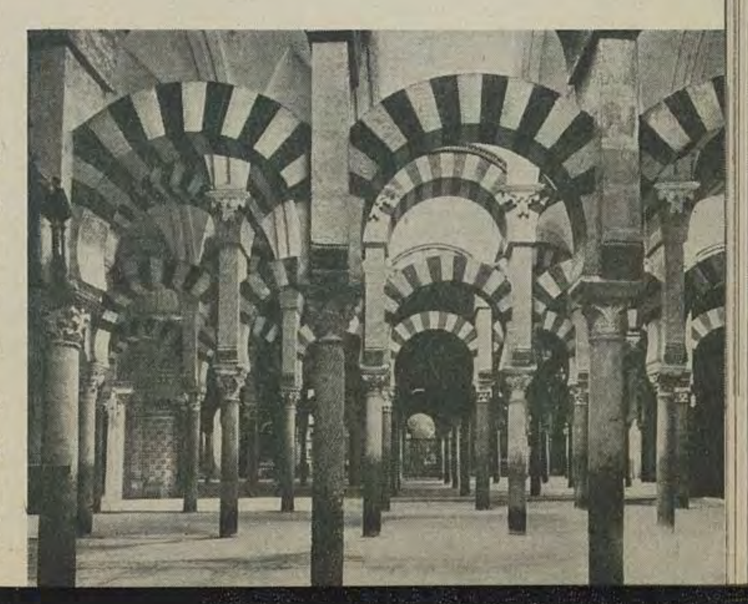
Once my secret was mine own ;
  Now it stands for all to know :
Then let all thy will be done,
  For I cannot let thee go.

جرب الناس وامتحن

خنت عهدى ولم أخن   بعت ودى بلا ثمن
قائلا هل مزايد   رابحاً؟ ثم من يزن؟
عدتى كنت للزما   ن فقد حلت والزمن
أرخص البيع كيف شئـ   ـت وذرنى لتندمن
سوف تبلى بغيرنا   جرب الناس وامتحن

PROVE MANKIND

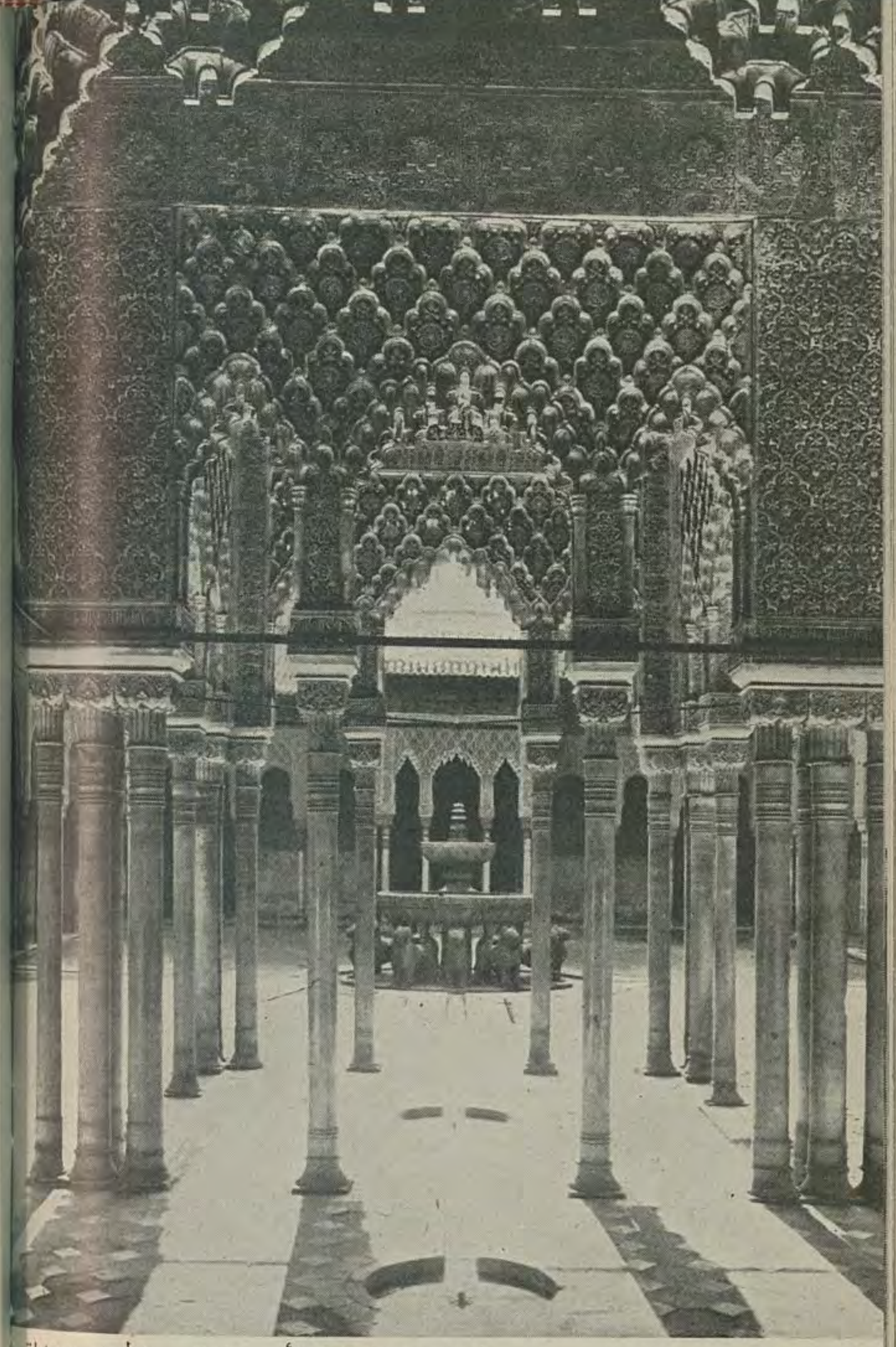
So, thou hast betrayed my trust,
Trailed my honour in the dust ;
Ta'en my heart, that loved thee well,
At the cheapest price to sell.
" Lo, a bargain ! " thou didst cry,
" Come, what offers ? Who will buy ? "
Thou, who wast my armoury
In the strife with destiny,
Faithless prov'd and renegade
Common cause with fate hast made.
Sell me then what price thou wilt :
Thou shalt soon repent thy guilt—
Others will thy torment be :
Prove mankind, and thou wilt see.



بعض الأعمد
الثمانمائة والخمسين
فى المسجد الجامع
وهو أكبر أثر من
الآثار المعمارية
الدينية للعرب
الأندلسيين
وأبدعها. ولا يز
فى فخامة حجمه سوى
الكعبة المكرمة
بمكة .



هو السفراء فى القصر باشبيلية .



لاحظ النحت والزخرفة البديعة فى هذه الصورة لبلاط الأسود فى قصر الحمراء بغرناطة.

الكأس

أنا ظرف للهو كل ظريف   أنا مستودع لعلق شريف
أنا كالصدر فى الاحاطة بالرا   ح إذ الراح كالضمير اللطيف
سل عن الطيبات فهى فنون   ألفت فى أحسن التأليف
أى حسن يفى بحسنى محو   لا بكفى وصيفة أو وصيف

A CUP

A bowl am I, dispensing joy
To pretty maid and mirthful boy ;
Within my guardian grasp I hide
A noble vine's empurpled tide—
A subtle spirit, nursed to rest
Within my soft, embracing breast.

Life has of boons a thousandfold,
And all lie here within my hold,
In sweetest harmony combined :
What loveliness was e'er designed
That with my loveliness could vie,
In saki's hands now borne on high ?

عتاب

يا مستخفا بعاشقيه   ومستغشا لناصحيه
ومن أطاع الوشاة فينا   حتى أطعنا السلو فيه
الحمد لله اذ أرانى   تكذيب ما كنت تدعيه
من قبل أن يهزم التسلى   ويغلب الشوق ما يليه

REPROACH

O thou that mockest at thy lovers
And makest light of thy reprovers,
Since thou my slanderers hast heeded,
No longer is my fond love needed :
Thanks be to God, for He doth prove me
The falseness of thy claim to love me ;
And I will win fine consolation
In truer lips for thy lost passion.

ليل أنس

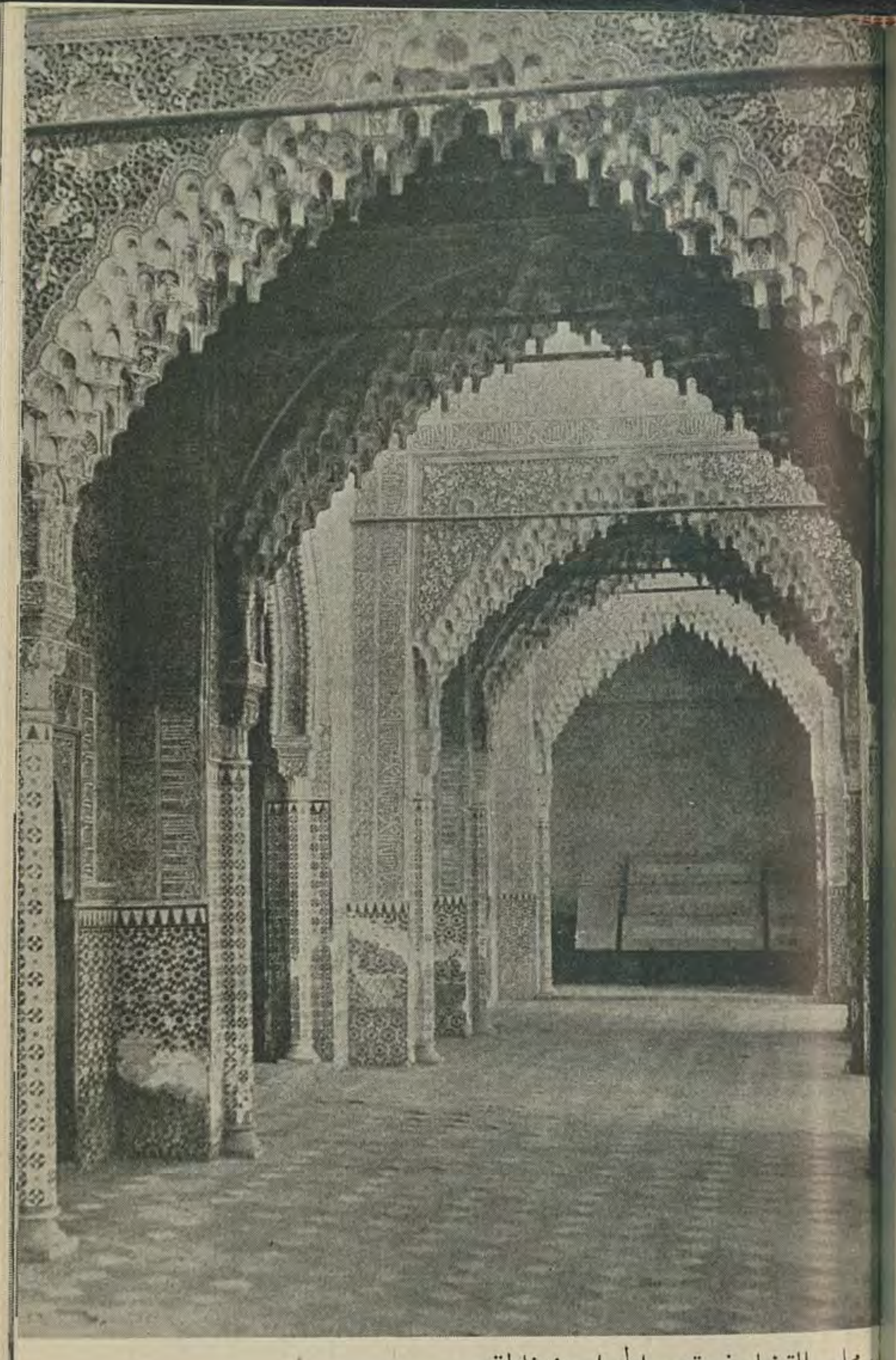
وليل أدمنا فيه شرب مدامة ... إلى أن بدا للصبح فى الليل تأثير
وجاءت نجوم الصبح تضرب فى الدجا ... فولت نجوم الليل والليل مقهور
فحزنا من اللذات أطيب طيبها ... ولم يعرنا هم ولا عاق تكدير
خلا أنه لو طال دامت مسرتى ... ولكن ليالى الوصل فيهن تقصير

NIGHTS OF JOY

Ah, many the long night thou and I
  Have passed at ease with the wine-crowned cup,
Till the red dawn gleamed in the night-dim sky
  And the stars of morn in the east rose up,
And along the west the stars of night
Like defeated armies pressed their flight.

Then the brightest of joys were ours to gain,
  With never a care in the world to cloud,
And pleasure untouched by the hand of pain,
  Were delight with eternal life endowed :
But alas ! that even the fairest boon
Is doomed, like night, to be spent too soon.

قسم من مخطوطة لديوان ابن زيدون (المتحف البريطانى) .



هو مجلس القضاء فى قصر الحمراء بغرناطة .

كيف السلو

كم ذا أريد ولا أراد ؟ يا سوء ما لقى الفؤاد
أصفى الوداد مدللا لم يصف لى منه الوداد
يقضى على دلاله فى كل حين او يكاد
كيف السلو عن الذى مثواه من قلبى السواد ؟

EVIL FLAME

What evil flame my soul hath fired
Desirous still, yet undesired !
My love is pure, without alloy,
But she is wanton, though so coy :
Since she both lovely is and vain,
Each moment newly I am slain ;
Yet how can I endure to part
From her whose dwelling is my heart ?

وصال

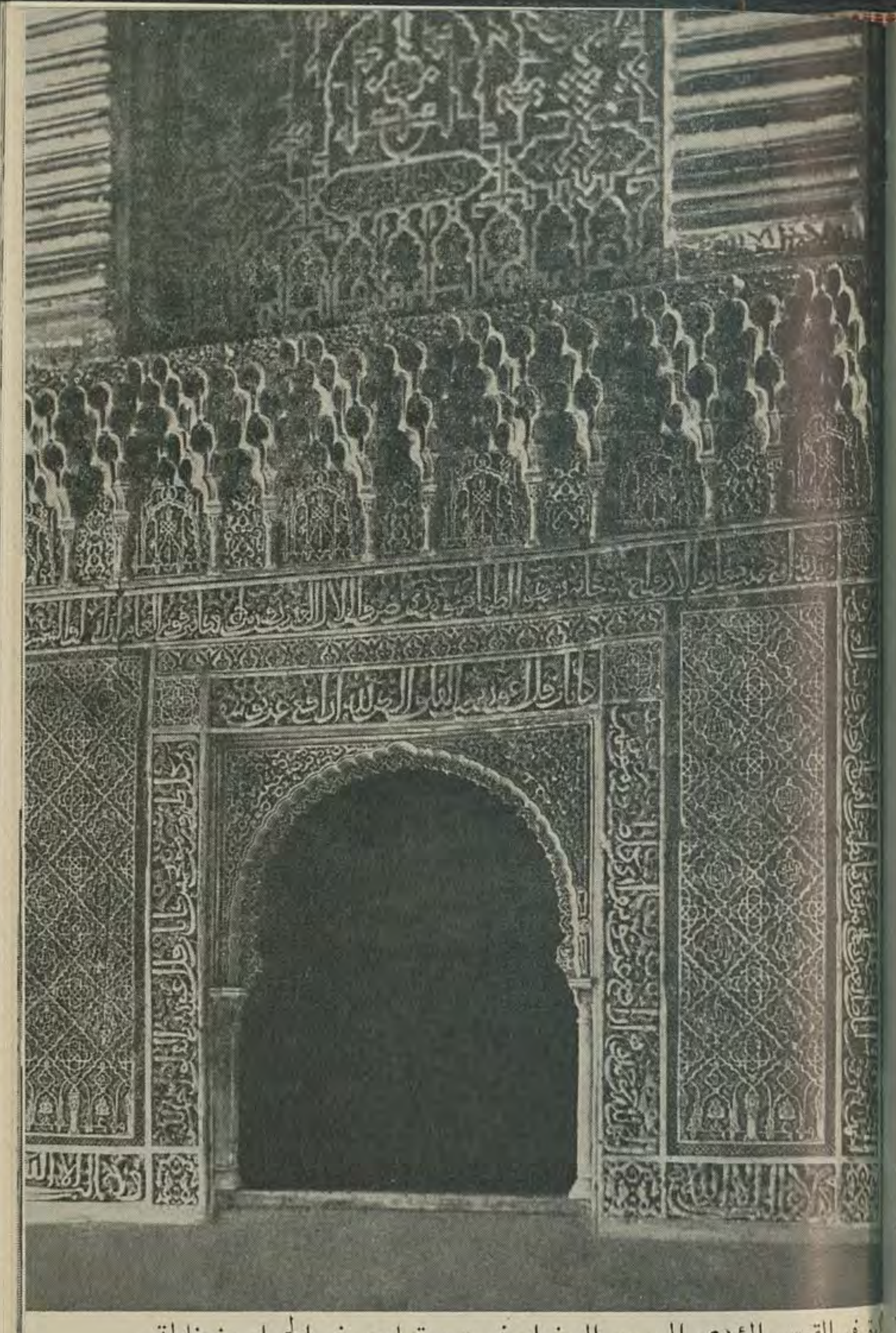
وشادن أسأله قهوة فجاد بالقهوة والورد
فبت أسقى الراح من ريقه وأجتنى الورد من الخد

WINE AND ROSES

" Bring wine ! " I said ;
But she that sped
Bore wine and roses beautiful.
Now from her lip
Sweet wine I sip,
And from her cheeks red roses cull.

والنص العربى لهذه المنتخبات منقول عن ديوان ابن زيدون، طبعة كامل كيلانى ، المنشورة فى القاهرة فى سنة ١٩٣٢ .

The Arabic text of these extracts from the Diwan of Ibn Zaidoun is based on the edition of Kamil Kilani, published at Cairo in 1932.



...رة فى القوس المؤدى إلى بهو السفراء فى برج قمارس فى الحمراء بغرناطة .

المحافظة على الحيوانات البرية السودانية

بقلم الميجر و. ر. باركر
من ضباط حرس الصيد بالسودان

كانت سنة ١٨٧٢ هى السنة التى أدركت فيها الولايات المتحدة الأمريكية أن بعض ما هو من أعز ممتلكاتها فى الحيوانات والنباتات الوطنية كان معرضا للهلاك باستهتار، فقررت عامئذ إنشاء «حديقة يلوستون» المشهورة. ومع أن هذه الحديقة لم تكن مختصة بالمحافظة على الحيوانات البرية إلا كجزء من عملها، لقد كان من بين الأغراض الأساسية لانشائها منع انقراض حيوان أمريكى بديع هو الجاموس البرى (Bison)، الذى انخفض عدده من ملايين الرءوس إلى بضع مئات، نتيجة لذبحه باسراف سعيا وراء الأرباح التجارية.

وكانت هذه الحديقة هى أول حديقة وطنية (فان «حديقة يوزميت» أنشئت بعدها ببضع سنوات)، وكانت صدى للشعور الذى لم يتيقظ إلا أخيرا بأن الحكومات مسئولة عن المحافظة على آلاف الحيوانات البرية



قطيعان من الحـ
الوحشى المخطـ
والثور الافريـ
يطفئان عطشهـ
معا فى غدير ما

الجميلة العظيمة القيمة التى توجد فى الأراضى التى تحت سلطانها، وهى حيوانات من الميسور إعدامها ومن المستحيل تعويضها . وقد لقى الجاموس البرى فيما بعد حماية أخرى فى كندا فى «حديقة بيس رفر»، وفى جنوبى كندا الوسطى . وكانت هذه الحدائق الوطنية محجوزة على الدوام للكائنات البرية التى تعيش فيها .

وحوالى نهاية القرن التاسع عشر شرع الرأى العام فى بلاد أخرى يتنبه إلى التلف الذى كان يحدث، فأعلنت مناطق محمية وملاذات فى جميع أنحاء العالم لغرض المحافظة على الحيوانات البرية التى ما زالت باقية فى تلك الجهات . وفى الترنسفال وفى أجزاء أخرى من جنوب أفريقية، استأصل التذبيح المتواصل الذى لم تكن له قيود بعض فصائل الحيوان، كفصيلة الحمار الوحشى المسمى (quagga) وفصيلة الغزال المعروف باسم الغزال الأزرق، كما أن ذلك التذبيح خفض إلى بضع عشرات آلاف الوعول التى كانت تمرح فى مراعيها كوعل بونتى، ووعل بليس، والوعل الأسود . فأدى التنبه للضرر الذى حدث إلى إنشاء حمى سابى فى الشمال الشرقى للترنسفال، وأمثاله فى مناطق زولولاند، وباسوتولاند، وبتشوانالاند، ومقاطعة الرأس . ومن هذه المناطق نشأت « الحدائق الوطنية » التى تباهى بها عن جدارة حكومة الاتحاد الأفريقى الجنوبى .

ولا شك أن أكبر الحدائق الوطنية وأعظمها أهمية هى حديقة كروغر، المسماة باسم آخر رئيس لجمهورية الترنسفال، والمنشأة حول حمى سابى فى موضعه الأصلى . وتشق هذه الحديقة التى أنشئت سنة ١٩٢٦، والتى تبلغ مساحتها نحو ٩,٠٠٠ ميل مربع، شبكة من الطرق، وفيها معسكرات للراحة على مسافات ملائمة . وتعد هذه الحديقة نموذجا لما ينبغى أن تكون عليه حديقة وطنية، بفضل إشراف مديرها الميجر ستيفنسون هاملتون الذى كان فى نهاية الحرب الماضية رئيسا لقسم البور بالسودان، وهو الذى وضع فى سنة ١٩٢٢ قوانين الصيد فى السودان . ويزور هذه الحديقة آلاف من الزوار فى كل سنة، وتمكن رؤية الحيوانات فى



١. قطيع من الفيلة يصل
إلى غدير الماء .
٢. أسرة من فصيلة الحلوف
البرى الأفريقى . وأب
الأسرة فى الوسط والاناث
والأطفال متجمعة على
كلا الجانبين .
٣. ثور وبقرات من فصيلة
نيالا . وقرون الثور ملوية
وطولها ٣ بوصة تقريبا
٤. وعل أسمر والطيور
تأكل القراد الذى على
جسمه .
٥. قطيع من ظباء إمبالا
٦. فصيل من جاموس
البحر يتدفأ فى الشمس
وترى طيور على ظهر اثنين
من هذه الحيوانات
الضخمة .

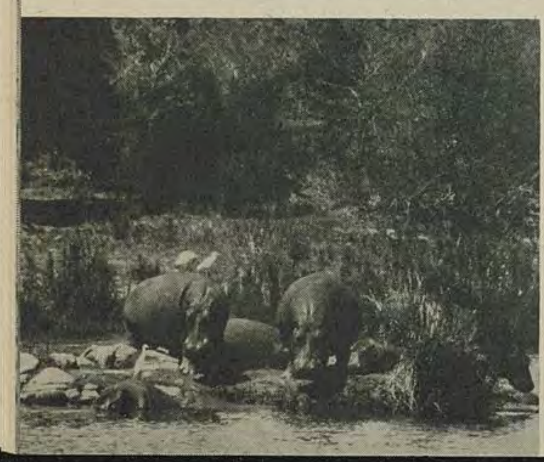












حالتها الطبيعية، دون أن يتعرض لأذاها ألد أعدائها وهو الانسان.

وفى سنة ١٩٢٦ أعلن المرحوم الملك ألبرت، ملك بلجيكا، إنشاء حديقة وطنية كبيرة فى المنطقة التى تقع فى سلسلة الجبال والبحيرات (مع الامتداد إلى الغرب)، بين بحيرة ألبرت وبحيرة كيفو. وهذه الحدائق التى تتاخم ما قد يعتبر أجمل بقعة فى أفريقية تحتوى على عدد من أندر الحيوانات الأفريقية أى الغوريلا، والزرافة المعروفة باسم (okapi)، والظبى الصغير الأصفر الظهر. وقد أدى شق الطرق وإنشاء معسكرات الاستراحة هنا كذلك إلى إتاحة الفرصة لآلاف من الزوار أن يستمتعوا بمشاهدة الحيوانات البرية التى فى بلادهم وهى فى بيئتها الطبيعية.

وقد أدى المؤتمر الدولى للمحافظة على الحيوانات البرية الأفريقية، الذى عقد فى لندن فى أوائل شهر نوفمبر سنة ١٩٣٣، والذى كانت حكومة السودان ممثلة فيه، إلى زيادة النشاط فى حركة إنشاء «الحدائق الوطنية»، وإلى زيادة المراقبة على المحافظة العامة على حيوانات الصيد الأفريقية.

وفى سنة ١٩٣٩ اتخذت إجراءات لانشاء حدائق وطنية فى السودان، وكينيا، وتنجانيقا، غير أن الحرب لسوء الحظ قد أخرت إنشاء هذه الحدائق. ومع ذلك فقد نهضت فى السودان بداية محمودة، فقد حددت مناطق حديقتين وصادق على تخطيطهما الحاكم العام فى المجلس.

وإحدى هاتين الحديقتين فى الشمال على ضفتى نهر الدندر، وتمتد من عين الشمس إلى حدود بلاد الحبشة فى مساحة تبلغ نحو ٣,٠٠٠ ميل مربع. والحديقة الثانية فى الجنوب الغربى للمنطقة الاستوائية، بين نهرى السويج ومريدى، وهى تشتمل على نحو ٦,٠٠٠ ميل مربع. وتمتاز كلتا الحديقتين بأنهما فى منطقة غير مأهولة بالسكان مطلقا.

وحديقة الدندر أقرب جدا إلى أوربا من حدائق أية بلاد أخرى، بل إن قلبها عند رأس عامر يمكن الوصول إليه الآن فى ٧½ ساعات بسيارات النقل من محطة سوقى. وفى أثناء فصل الجفاف تعج المنطقة من أولها إلى

آخرها بالحيوانات البرية بما فيها الفيل، والزرافة، والجاموس، والأسد، والظبي الكميت، ويمكن مشاهدة مئات من الأيل حول الطريق الفسيح المحاط بالأشجار والموصل إلى رأس عامر. وقد شق طريق على طول ضفة النهر من أبي هاشم إلى حدود بلاد الحبشة، وأنشئت هناك نقطة شرطة تابعة لمديرية النيل الأزرق، لمنع الصيد خلسة فى منطقة الحديقة. وهذا الصيد المختلس، إلى جانب أنه خطر يتهدد حياة الانسان والحيوان جميعا، بسبب شراسة الحيوان وجموحه، ويفسد بذلك متعة الزائرين، وينقص من قيمة الحديقة للبلاد. فانه إذا لم تكن الحيوانات فى الحديقة الوطنية مستأنسة استئناس الحيوانات التى فى حديقة الحيوان بالخرطوم ضاع معظم ما فى الحديقة من بهاء.

ولا بد من تربية الرأى العام فى تلك المناطق لكى يدرك أن مصلحة الجمهور هى فى المحافظة على الحيوانات البرية التى فى البلاد للأجيال الآتية. إن الموافقة على ما تقوم به الجماعات التى ترحل من قراها لتصطاد خلسة فتقتل حيوانات هى ملك لأهل السودان جميعا ولسائر العالم كما أن كل جمل أو ثور ملك لصاحبه الشخصى، إن الموافقة على هذا العمل هى معاونة على سرقة من المجتمع بصفة عامة. إن هؤلاء الناس يحدثون



زرافة تشرب من غدير ماء.



قطيع من الثور الافريقي على غدير

من الافساد ما لا سبيل إلى إصلاحه، ويضيعون ثروة قيمة تمتلكها أمة ينادون بجبهم لها . وإذا قام رؤساء القبائل وعمد القرى بواجبهم بالتبليغ عمن فى حيازتهم أسلحة نارية غير مرخص بها وعمن فى أيديهم قنص أو جلود أو لحوم وصلت إليهم بطريقة غير مشروعة، استطعنا عندئذ أن نعتبر أننا قد ربحنا أكثر من نصف المعركة التى نجاهد فيها فى سبيل الاحتفاظ بالحيوانات البرية السودانية .

وتحتوى الحديقة الجنوبية — وهى لا تكاد تشبه الحديقة الشمالية فى قرب الوصول إليها — بين ما تحتوى عليه من الأنواع المختلفة للحيوانات البرية، على الخرتيت الأبيض النادر الوجود، والأيل العملاق (eland) وهو من أجمل فصائل الغزلان . وبما أننا لا نعرف إلا القليل عن عادات الخرتيت الأبيض فان هذه الحديقة تصلح لأن تكون أفضل بقعة لدراسة هذا الحيوان العجيب عن كثب .

ولم يحدث حتى الآن كثير من تعبيد الطرق أو شق السبل فى هذه المنطقة، فليس هناك سوى طريق ضيق قد شق بين نهرى السويح والعبه، فى خط مواز لهما . وقد جندت فرقة شرطة من حراس الصيد المحليين، وأنشئت لهم نقط فى جميع أنحاء الحديقة .

وبتوفر المال، والأيدى العاملة، والخبراء فى تعرف فصائل الحيوان، ينتظر ألا تستغرق تهيئة الحديقة لاستقبال الزوار زمنا طويلا، ويجدر بها أن تحتوى على أنواع من الحيوانات البرية لا نظير لها فى أية حديقة أخرى فى العالم . وخليق بها، كما هو خليق بأختها فى الدندر، أن تكون ثروة عظيمة للسودان .

وقد دلت التجارب على أن الحيوانات البرية تنقرض فجأة، فالمكان الذى قد يبدو لنا أن فيه عددا وفيرا من الحيوان، بل قد ترى فيه العين التى لم تدرب مصدرا لا يمكن نفاده، ربما أصبح فى يوم من الأيام وليس به حيوان واحد . ولقد رأيت ذلك يحدث فى السودان الجنوبى، وخاصة فى بلاد الماضى . فهناك أحدث مد الشراك المستمر لصيد الحيوانات، وذبح الأناثى، والمداومة على إزعاج الحيوانات فى فصل التناسل، فناء القنص عن آخره تقريبا . وينطبق ذلك الوصف على جبال إماتونغ حيث الحيوانات البرية فى طريقها إلى الانقراض التدريجى .

وثمة عدو آخر للحيوانات البرية، وهو رعى الماشية رعيا متلفا للأرض . فليس هناك إلا مقدار محدود من الأرض صالح للرعى، فاذا أكلت الماشية



...ء ذات قرون ...دوية وقد ...ضم إليها ...ران وحشيان ...طان على ...رة الماء .

أكثر من نصيبها المعقول من حشائش تلك الأرض لم يكن هناك مفر من جوع الحيوانات البرية، ومن انقطاعها عن النسل، ثم انقراضها آخر الأمر .

وقبل خمس وعشرين سنة كان فى السودان الجنوبى مساحات كبيرة طبيعية للمحافظة على الحيوانات البرية، وكان السبب فى ذلك هو الحروب التى كانت قائمة بين القبائل، والتى كانت تستدعى ترك «مناطق محايدة» بين أراضى القبائل المتحاربة، ولم يكن الأهالى من الفرق المتقاتلة المتجاورة يزورون تلك المناطق إلا وهم معرضون لخطر القتل . وكان هناك منطقة محمية من هذا النوع على نهر الكيديبو، حيث كانت الحيوانات البرية وفيرة العدد . وبانتشار لواء السلم فى تلك المنطقة أخذ عدد القنص فى التضاؤل المستمر، ولا يوجد الآن إلا بكمية قليلة جدا .

هذا ملخص وجيز عن الجهود التى تبذل فى سبيل إنشاء حدائق وطنية للمحافظة على القنص الأفريقى . وجدير بالسودان — وله أكثر من نصيبه من هذا القنص، كما أن فيه مساحات شاسعة يمكن الحيوانات أن تعيش فيها من غير تعرض لمعايش الأهالى — أن يكون فخورا بهذا التراث حريصا على الاحتفاظ به . ولا يمكن أن يتحقق ذلك إلا إذا تعاون الجميع تعاونا يضمن القضاء على التذبيح الأخرق، والاستيثاق من أنه لن يصيب فصيلة من فصائل الحيوان فى السودان ما أصاب حمار الوحش (quagga) والغزال الأزرق . إن الحماقة تستطيع أن تبيد أى شىء، ولكن العقل هو الذى يحافظ على ما لو أصابه التلف لم يمكن تعويضه .

★

القسم الشرقى فى المتحف البريطانى

وبالأخص مجموعة المخطوطات العربية

بقلم ا. س. فولتون، دكتور فى الآداب
وأمين قسم الكتب المطبوعة والمخطوطات الشرقية

منذ نحو ثلاثة قرون كانت الدراسات الشرقية فى إنكلتره فى مهدها، ثم شرعت تنمو نموا يزداد عمقا على توالى الأيام، وقد شهدت مائة السنة الماضية على الخصوص عدة جهود مشهودة لارتياد سبل جديدة فى ذلك الميدان الفسيح الفاتن للثقافة البشرية. ومن بين تلك الجهود — وليس أقلها شأنا — إنشاء قسم خاص فى المتحف البريطانى، فى سنة ١٨٩٢، للمؤلفات الشرقية. وكانت المجموعة الغزيرة التى يضمها المتحف البريطانى من المجلدات الشرقية حتى ذلك الوقت تؤلف جزءا مندمجا فى المكتبتين العظيمتين فى المتحف، اللتين كانتا تسميان «قسم المخطوطات» و«قسم الكتب المطبوعة». أما فى تلك السنة فقد انتهى الأمر بأن أدركت إدارة المتحف الأهمية الحيوية لتلك المجموعة من حيث هى وحدة مستقلة، وأنشأت لها قسما خاصا دعته «قسم الكتب المطبوعة والمخطوطات الشرقية».

ويضم هذا القسم ما يزيد على خمسين ومائتى ألف كتاب مطبوع، تمثل الأشكال المختلفة للغات الشرقية المكتوبة بين طنجة وطوكيو، بما فيها لغات الهند الكثيرة. ويبلغ عدد المجلدات فى مجموعة المخطوطات نحو خمسة وعشرين ألفا، تضم أكثر من سبعين لغة، وفى القسم حجرة مطالعة فسيحة حسنة الاضاءة، تتسع لخمسة وثلاثين قارئا فى راحة ويسر، وهى — فى الأحوال العادية — مفتوحة من العاشرة صباحا إلى الخامسة مساء.

وحول حيطان هذه الحجرة رفوف من أرضها إلى سقفها قد نظمت عليها مكتبة خاصة للمراجعة يستعملها الباحثون متى شاءوا فى أثناء عملهم فى الحجرة . فاذا كان الباحث مشتغلا باللغة العربية مثلا ألفى فى متناول يده على تلك الرفوف جميع المعاجم التى لايستغنى عن مراجعتها كلسان العرب، وتاج العروس والمعجمين الأوربيين الجليلين، معجم لين، ومعجم دوزى؛ وكذلك كتب التاريخ المشهورة كتاريخ الطبرى، وتاريخ ابن الأثير؛ ثم تواريخ العلماء ككتاب الوفيات لابن خلكان وهلم جرا. وموظفو القسم على تمام الاستعداد والميل لمساعدة الطلاب فى بحوثهم .

ويبلغ نمو المكتبة الشرقية فى العهود الأخيرة نسبة تزيد على ثلاثة آلاف مجلد فى السنة . وتنشر فى الفينة بعد الفينة فهارس مفصلة عما يقع فى حوزة المكتبة من الكتب والمخطوطات . وفى متناول الباحثين الذين يزورون المتحف أن يطلعوا على نسخ من تلك الفهارس متى شاءوا، كما أن نسخا منها ترسل إلى المعاهد العلمية الهامة فى جميع أنحاء العالم . وكان عدد زوار هذه الحجرة، قبل الحرب، نحو ٥,٠٠٠ فى السنة، وكان عدد المجلدات التى تعار لهم يبلغ فى بعض الأحيان ١٢,٠٠٠ مجلد فى السنة. ومن دواعى الفخر للمتحف أنه يستطيع أن يقدم ضيافته العلمية فى تلك الحجرة للباحثين من جميع أنحاء العالم الذين يضمون كثيرا من الأئمة الشرقيين والأوربيين فى علومهم المختلفة ممن خلفوا أسماءهم خالدة على صفحات التاريخ العلمى .

ومنذ عدة سنوات مضت حل التصوير الشمسى محل نسخ المخطوطات باليد، مما كان عملا شاقا وفى كثير من الأحيان غير دقيق، وللمتحف مفن (studio) تصويرى كامل الاستعداد، ويستطيع الباحثون أن يحصلوا بواسطته على صور شمسية لأى مخطوط يريدون دراسته .

كذلك ساعدت الاختراعات العلمية الحديثة الأخرى فى الكشف عن أسرار العاديات . من ذلك مثلا أن استخدام مصباح الأشعة التى فوق البنفسجية كثيرا ما يساعد على قراءة الكتابة التى يكون مدادها قد

صفحة من كتاب الغاذى والمغتذى لأبى الاشعث بتاريخها سنة ٩٦٠ م .

نصل فأصبح غير مرئى للعين المجردة . وإلى جانب المفن يحتوى المتحف على معمل كيميائى كامل العدة . وهنا كثيرا ما تمكن إقامة الدليل الناصع على عمر الأشياء القديمة، وأصلها، وأصليتها، بالتحليل الكيميائى للمواد التى هى مصنوعة منها — كالورق، والحبر، والصبغة والمعادن، والخزف الصينى، وما إلى ذلك . وبهذه الطريقة يستطيع الخبراء العلميون للمتحف فى بعض الأحيان أن يحسموا نزاعا علميا كان من قبل ذلك ربما يحتدم إلى أجل غير مسمى .

ومجموعة المخطوطات العربية، التى تزيد على ستة آلاف، هى من غير شك أكبر المجموعات التى تتألف منها مكتبة المخطوطات للقسم الشرقى، وسيكون جل حديثنا فى هذا البحث الوجيز عن تلك المجموعة .

ولنبدأ بالمجلدات التى تمتاز بمزاياها الفنية، جاعلين فضل السبق فى الذكر للمصاحف المزخرفة التى ترجع أجمل نماذجها إلى القرنين السابع والثامن للهجرة، والتى تستأهل أن تدرج فى مصاف بعض المصاحف التى فى المجموعة الفاخرة المحفوظة فى دار الكتب الملكية بالقاهرة، وليس وراء ذلك الوصف مدح يقال فيها . وزخرفتها الباهرة بالذهب والألوان المتنوعة التى تحيط بسورة الفاتحة، ورءوس السور، والعلامات التى على هوامش الصفحات فى شكل أوسمة وشجيرات، وسمو الخط متجليا فى تمديد الحروف، سميكا راسخا من أول صفحة إلى آخر صفحة من غير أثر لاهتزاز فى القلم، وهو مع ذلك متابع فى كل كلمة لأدق الأصول الخطية فى التناسب والتناسق — كل أولئك يملأ نفوسنا روعة وتوقيرا لتلك المهارة المخلصة التى أنطقها أولئك الفنانون العظماء الذين لم يدخروا وسعا فى ابتداع أنبل صورة بشرية يكتبون بها كلمات الله .

وفى الظروف العادية تعرض بعض هذه المصاحف للجمهور، ومن بينها مصحفان يسترعيان انتباهنا على الخصوص . أحدهما مكتوب فى سبعة مجلدات مستقلة، كل منها مجلد تجليدا فاخرا . والصفحتان الأوليان تتوهجان من الألوان، وتظهر مهارة الخطاط فى ذروتها فى الكتابة فى كل صفحة من

صفحات المصحف. وقد تم ذلك المصحف حوالى سنة ٧٠٤، ويذكر الخطاط على الصفحة الأخيرة أنه كتبه بأمر ركن الدين بيبرس الذى تولى بعد ذلك بقليل سلطنة مصر وسورية. أما المصحف الآخر فهو قطعة مؤلفة من ٥١ ورقة تحتوى على الجزء الخامس والعشرين من القرآن، ولكن خطه الواسع الجميل مكتوب كله بالذهب. وكان قد كتب فى الموصل فى سنة ٧١٠ للسلطان الجاتو ووزيريه.

أما فى الكتابات المدنية فالمخطوطات الفارسية هى التى تظهر فيها دقة الفن لا من حيث الدرجة الفنية العليا التى تظهرها يد المزخرف فحسب، بل كذلك من حيث رسم الصور المصغرة البديعة، وهذه الأخيرة يندر أن تتحلى بها صفحات المخطوطات العربية. وفى المتحف مجموعة قيمة من مثل تلك المجلدات الفارسية. وفى مقدمتها النسخة الفاخرة لمخطوط «خمسة» للشاعر نظامى. وحوادث الكتاب موضحة فى المجلد من أوله إلى آخره بكثير من الصور الصغيرة البديعة المثال التى تملأ حجم الصفحة، بل إن هوامش كل صفحة محلاة بحلية أساسها الزهور والحيوانات المرسومة بالذهب الفاتح اللون. ولقد تنظر العين إلى الصفحتين الافتتاحيتين ساعات متواصلة فتتكشف لها بكل نظرة ناحية جديدة من نواحى الجمال فى التلوين والنقش منبعثة عما يحليهما من الزخرفة الغزيرة التى لا حد لها:

يزيدك وجهه حسنا إذا ما زدته نظرا.

ويجرى قلم الكاتب بخط نسخ التعليق البهى فى جودة لا تتزعزع من أول الكتاب إلى آخره نحو ٨٠٠ صفحة.

وتكاد تعجز الألفاظ عن وصف مثل ذلك الجمال، ولكن من الممكن مع الأقل أن ينال المرء فكرة ضئيلة من الصور المطبوعة بالألوان نقلا عن بعض الصفحات النموذجية المأخوذة من خير مخطوطات المتحف، تلك الصور التى تباع للجمهور فى البهو العام للمتحف، وكثير منها فى حجم بطاقة البريد.

ولننتقل الآن إلى المخطوطات المشهورة بقدمها، وأقدم هذه المخطوطات

تردد بالاحكام فى امثلة الهوى فانت جميل الخلف مستحسن الكذب

وانى لممنوع المقاتل فى الوغى وان كنت مبذول المقاتل فى الحب

ومن خلقت عيناك بين جفونه اصاب الحدور السهل فى المرتقى الصعب

والحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وآله الطاهرين وسلم كثيرا

وحسبنا الله ونعم الوكيل

صفحة من ديوان المتنبى تاريخها سنة ١٠٠٨ م.

طبعا أوراق البردى المكتوبة فى الغالب بالاغريقية أو العربية، وفى المتحف من هذا النوع بعض النماذج العظيمة الأهمية، التى تعالج إلى

حد كبير موضوع الادارة فى مصر تحت حكم الدولة الأموية، وتذكر من التواريخ ما يرجع إلى سنة ٩٠ من الهجرة .

والحق أننا نرى هنا التاريخ فى طور تكونه . فهذه الوثائق العفراء، الممزقة، الهشة — ولكنها بفضل رمال مصر التى حفظتها فى جوفها اثنى عشر قرنا ما زالت باقية يستطيع أن يقرأها الخبير اليوم كما كانت تقرأ يوم كتبت — تسجل لنا الأعمال الادارية التى قام بها رجل مثل قرة ابن شريك حاكم مصر من قبل الخليفة الأكبر، الوليد، الذى كان أميرا للمؤمنين من قصبته دمشق . ولم يكن يومئذ قد مضى على كلمة الشهادة المعروفة فى جميع أنحاء العالم اليوم، والتى يبدأ كل إنسان بها «أشهد ألا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله» — لم يكن قد مضى عليها تتردد على ألسنة الناس سوى مائة سنة . وأوراق البردى هذه — محفوظة باحتياط بين ألواح من الزجاج ليقيها من التلف — هى تذكارات عظيمة الشأن حقا لعصر العظمة الاسلامية حينما كان الاسلام يضع الأسس لدولته العظيمة .

ولدينا أيضا من المخطوطات التى ترجع إلى ذلك العصر تقريبا أجزاء من مصاحف مكتوبة فى القرنين الثانى والثالث بخط جميل بقلم كوفى تاريخى على رق؛ إذ أن الورق، وهو من ابتكار الصينيين، كان إذ ذاك فى بدء دخوله فى البلاد الاسلامية . أما نحن فى أوربا فقد كان علينا أن ننتظر ثلاثمائة سنة أخرى لمعرفة هذا الاختراع الذى يعد مرحلة تاريخية فى تقدم الحضارة، وكان العرب هم الذين نقلوه إلينا بانشائهم مصانع للورق فى أسبانيا الاسلامية فى القرن الثانى عشر الميلادى .

وأقدم مخطوط مؤرخ عندنا، فى الكتب المدنية، هو جزء من كتاب فى الطب تأليف ابن أبى الأشعث يسمى كتاب « الغاذى والمغتذى » منسوخ فى الموصل سنة ٣٤٨ أى نفس السنة التى ألفه فيها المؤلف . ومما يقرب من ذلك الكتاب فى قدم العهد نسخة عندنا من كتاب « المقصور والممدود » وهو كتاب فى اللغة لابن ولاد تاريخه سنة ٣٦٥ . ويلى ذلك

فى التاريخ نسخة جميلة لديوان المتنبى مكتوبة سنة ٣٩٨ . ثم هناك مجموعة محتوية على عشرة مخطوطات يرجع تاريخها إلى القرن الخامس الهجرى، ومجموعة أخرى تزيد على خمسين مجلدا مؤرخة فى القرن السادس . وطبعا لدينا عدد أكبر من هذا من غير تاريخ ولكنه قديم قدم تلك السابقة كما يستدل على ذلك من أسلوب الكتابة، ونوع الورق، والأدلة الأخرى .

والباحثون الذين يتألف عملهم من بحث سجلات الماضى المكتوبة للكشف عن حقائق الأمور فى الماضى (وهو كشف لا يمكن فهم الحاضر فهما كاملا بدونه) — هؤلاء الباحثون أقل اهتماما بجمال شكل المخطوط منهم بالمعلومات التى يشتمل عليها المخطوط . وكثيرا ما يرون فى مجلد أشعث تشمئز منه النفس مكتوب بخط قبيح، ذخرا أغلى من أبدع ما خط قلم ياقوت أو رسم فرجون بهزاد؛ بل إنهم فى أثناء بحثهم، وهم يكدحون الذهن وراء المعنى المقصود فى مخطوط جمال خطه خداع، قد يرددون صدى العبارة العربية الساخرة التى تقول : الخطاطون جاهلون، أو النساخ مساخ. إن السؤال الذى يعنى هؤلاء الباحثون بالاجابة عنه هو : « ما أهمية الرسالة التى يريد المؤلف أن يبلغها؟ وإذا لم يكن المخطوط مكتوبا بيد المؤلف، فما مبلغ أمانة النساخ فى نقله؟ »

ويجوز لنا أن نقول إن الاجابات التى تتضمنها المجموعة الشرقية بالمتحف البريطانى لن تخيب رجاء الباحث، على وجه العموم . وإن توضيح ذلك بالتفصيل ليؤدى إلى إملال القارئ بثبت رهيب يحتوى على معظم أسماء الأساطين فى الأدب العربى من كل عصر وإقليم إسلامى، ممن هم ممثلون فى مكتبتنا الشرقية . بل إن اختيار عدد من الممتازين يملأ صفحات تتناول كتبا هامة فى التاريخ، وحياة المؤلفين ونحوهم، وعلم التوحيد، وعلم الأخلاق، والفلسفة، والحديث الشريف، وعلوم الرياضة، والفلك، وعلوم أخرى كثيرة . وحسبنا أن نقرر أنه فى خلال مائة السنة الماضية، أو ما يزيد على ذلك، لم يكد يخرج فى أوربا بحث ذو شأن فى أى

ميدان من ميادين الدراسات الشرقية من غير أن يكون لمصادر المخطوطات فى المتحف البريطانى يد قوية فى المساعدة على نجاحه . ولا ينبغى أن يغيب عن الأذهان أن بلندن مكتبة شهيرة أخرى من مكتبات الدولة تشاطر المتحف البريطانى هذا الشرف – تلك هى مكتبة وزارة الهند .(١)

ولا يسعنا أن نودع المكتبة العربية بالمتحف البريطانى من غير أن نقول كلمة عن تلك الذخائر الثمينة التى تتألف من مخطوطات مكتوبة بيد مؤلفيها . ومن أروعها جزء من الكتاب الشهير الذى ألفه ابن خلكان فى تراجم المؤلفين والعلماء (وهذا الجزء يشمل نحو ثلاثة أرباع الكتاب بأسره)، وهو الكتاب الذى كتبه فى القاهرة سنة ٦٥٥ .

وكم طرب كثير من علماء الأدب العربى بشعورهم بقرب شخصية المترجم الكبير، لدى قراءتهم هذه الكلمات على صفحة عنوان الكتاب : «كتاب وفيات الأعيان . . . عنى بجمعه لنفسه ولمن شاء الله تعالى من بعده، الفقير إلى رحمة الله تعالى أحمد بن محمد . . . بن خلكان، عفا الله عنه . » ومما يدانى هذا المخطوط فى الأهمية مجلد من تاريخ ابن خلدون . وهو يحتوى على تعليقات عدة بيد ذلك الرجل المعدود أعظم المؤرخين فى الاسلام، والذى لنظرياته التى ألفها فى القرن الرابع عشر عن القوانين التى تؤثر فى قيام الدولة وسقوطها، رنين حديث يدعو إلى العجب .

ولا تسمح هذه العجالة بأكثر من التنويه بخطوة عظيمة أخرى خطاها أوصياء المتحف البريطانى فى سبيل الثقافة الشرقية، تلك هى إنشاء قسم خاص، منذ بضعة أعوام، بالعاديات الشرقية – التصوير، والفخار، والخزف الصينى، والأوانى الزجاجية، والبرنز، وما أشبه ذلك . وفى هذا القسم يرى الزائر معرضا فاخرا للصور التى من صنع مشهورى الفنانين فى البلاد الاسلامية، كالهند، والصين، واليابان؛ وللأوانى ذات الصقل

(١) انظر «مكتبة وزارة الهند» بقلم الدكتور أ . ج . آربرى، ص . ٤ فى العدد الأول من مجلة «الأدب والفن» .

والنقوش البديعة من سامرا، وبغداد القديمة؛ ومربعات القرميد التى تحمل بدائع الكتابة والنقوش، من مواضع مختلفة فى العراق وبلاد فارس؛ والكؤوس والزهريات المتألقة تلألؤا، من الرى، وسلطان آباد، وخرائب الفسطاط؛ ومصابيح المساجد المصنوعة من الزجاج المزخرف زخرفة عالية، من أبنية المماليك. على أن جمال هذه الأشياء لا يدرك على حقيقته إلا بالنظر، أو إلى درجة ما بمشاهدة صورها المستخرجة بالألوان.

ولقد يسأل المرء الآن هذا السؤال الحق: ماذا فعلت الحرب بكل هذا؟ والمتحف البريطانى — كما أذاعت محطة الاذاعة البريطانية فى إبان وطيس الغارات الجوية على لندن — كان من بين العدد الكبير من الأبنية الشهيرة التى أصابتها يد التدمير. غير أن محبى الفنون والآداب الشرقية سيبتهجون إذ يعلمون أن التلف لم يصب شيئا واحدا من معروضاته الفنية ولا ورقة واحدة من أوراق مخطوطاته، إذ كل تلك النفائس كانت قد نقلت من قبل إلى مكان أمين بمنأى عن أرزاء الحرب. وعما قريب، كما نأمل ونعتقد، بعد أن يطمئن العالم إلى أن الوحشية المنظمة قد دحرت إلى الأبد، تعود هذه النفائس إلى رفوفها وأصونة عرضها، لتظل بهجة للعيون بآيات جمالها، وغذاء للعقول بذخائر علمها، وتذكرة للأجيال القادمة بذلك الدين الذى فى عنق أوربا للحكمة الشرقية والثقافة الشرقية.

صلاح الدين رحمه الله تعالى لما التزمه ارباب ديوان الزكوة برفع الزكوة

من التاجر التي حصلت محبته فجاء

ما كلّ من يتسمّى بالعزيز لها اهلٌ ولا كلّ برقٍ سحبُه غدقه

بين العزيزين بونٌ في فعالهما هذاك يعطي وهذا يأخذ الصدقة

وكانت وفاة سيف الاسلام في شوال سنة ثلث وتسعين وخمس

مايه بالمنصوره وهي مدينة اختطها باليمن رحمه الله تعالى وتولى بعده

وتشتكين بضم الطاء المهملة وسكون الغين المعجمة وكسر التاء المثناه

من فوقها والكاف وسكون الياء المثناه من تحتها وبعدها نون

وهو اسم تركي

ابو الغارات طلائع بن رزيك الملقب الملك الصالح وزير مصر كان واليا

منية بني خصيب من اعمال الصعيد مصر فلما قتل الظافر اسمعيل صاحب مصر

كما تقدم في حرف الهمزة سيّر اهل القصر الى الصالح واستنجدوا به

على عباس وولده نصير المتفقين على قتله فتوجه الصالح الى القاهرة

ومعه جمع عظيم من العربان فلما قربوا من البلد هرب عباس

وولده واتباعهما ومعهما اسامه بن منقذ المذكور في حرف الهمزة

ايضا لانه كان مشاركا لهما في ذلك على ما يقال ودخل الصالح الى القاهرة

وتولى الوزارة في ايام الفايز واستقل بالامور وتدبير احوال الدولة

وكانت ولايته في التاسع عشر من شهر ربيع الاول سنة تسع واربعين

وخمس مايه وكان فاضلا سمحا في العطاء سهلا في اللقاء محبا

لاهل الفضائل جيد الشعر ووقفت على ديوان شعره وهو في جزوين

ومن شعره قوله

صفحة من وفيات الأعيان لابن خلكان تاريخها سنة ١٢٥٧ م .

كتبت فى جبينها

كتبت فى جبينها
بعبير على قمر
فى سطور ثلاثة
لعن الله من غدر
وتناولت كفها
ثم قلت اسمعى الخبر
كل شىء سوى الخيا
نة فى الحب يغتفر

ابن عبد ربه: العقد الفريد ج ٤ ص ٣٧٠

A POEM FROM AL-‘IQD AL-FARID

Across her brow, with musk
  Three lines I traced, as stray
Soft moon-entangled clouds,
  ‘God curse those who betray.’
Then took her hand and said,
  ‘List what it has to say—
All things but faithlessness
  Love can dissolve away.’

R. B. SERJEANT.

صاحبة المصباح

فلورنس نيتنغيل

بقلم: انجيلا رودكين

ترجع نشأة الممرضات المحترفات اللاتى تلقين تدريبا علميا منظما إلى تاريخ لا يتجاوز مائة السنة الماضية. وفى الحق أنها إحدى النتائج الهامة التى أفادت الحياة البشرية، تلك النتائج التى أثمرتها بطريق غير مباشر حركة تحويل بريطانيا إلى أمة صناعية فى القرن التاسع عشر. أما قبل ذلك فقد كان الطب قد بلغ مستوى عاليا، فى عصور مختلفة من عصور المدنية الانسانية، غير أنه لم يصل إلى علمنا أن التمريض من حيث هو مهنة معينة كان معروفا قبل ذلك.

وكان المرض فى الأمم الهمجية يعزى عادة إلى حلول أرواح شريرة بالشخص الذى يصيبه المرض. وبناء على هذا الزعم لم يكن للانسان حيلة فى علاج المرض، ومن ثم لم يكد يكون للطبيب أو الممرضة وجود. وبعد ذلك العهد، أى فى فجر المدنيات المصرية، والبابلية، والهندية، حينما شرع الأطباء السحرة يزاولون مهنتهم، كانت وصفاتهم الطبية مزيجا غزيرا من السحر والرقى. وكان الطب معدودا من الأمور المقدسة النشأة، فانفرد فريق من الكهنوت بالتخصص فى شفاء المرضى. على أن التمريض كان لا يزال عديم الأهمية، ولعلة كان متروكا للأرقاء يزاولونه. بل إننا نرى فى أوج عظمة الطب اليونانى فى عهد بقراط أن التمريض كان متروكا للزوجة أو أى رقيق من خدم البيت. وإنما نجد وصف الممرضة الكاملة، فى الهند فيما قاله سمحيتا الملهم بالوحى



صورة لفلورنس نيتنغيل .

الالهى : الرزانة، واللطف، والانتباه، والولاء للطبيب . وكان ذلك مثلا أعلى رفيعا، ولكنه مع ذلك لم يشر إلى التدريب الخاص الذى يجب أن تتلقاه الممرضة، بل إن ذلك المثل الأعلى لم تعد المهنة إلى تحقيقه إلا فى العصور الحديثة .

أما فى القرون التى تخللت هذين العهدين فاننا لا نعثر على أى تقدم

فى مركز المرضة . فالرومان، بما كان معهودا عنهم من المقدرة الادارية، نظموا مستشفيات، غير أنه مما قد يدعو إلى العجب أنهم لم ينشئوا خدمة للتمريض القائم على التدريب . كذلك نجد الطوائف المسيحية الأولى، عملا بالتعاليم المسيحية الآمرة برعاية المرضى والفقراء، افتتحوا مستشفيات، ولكن تلك المستشفيات كانت أقرب إلى الملاجئ الروحانية منها إلى أماكن العلاج العلمى للمرضى . وعلى الرغم من المدرسة الكبرى للطب التى كان الفرس قد أنشأوها فى جنديشابور كان لها مستشفياتها، ليس لدينا ما يدل على أن كان لها خدمة تمريضية .

ومن المعروف أن نساء العرب فى الجاهلية كن يتبعن رجالهن فى المواقع الحربية، يزودنهم بالطعام، ويثرن فيهم الحماسة، ويضمدن جراحهم . وقد ورد ذكر ذلك على سبيل التخصيص فى واقعتى يوم ذى قار، ويوم الكديد . ولكننا لا نعرف شيئا من التفاصيل عن خبرتهن الطبية .

وبالنهضة الاسلامية انتقل مصباح العلوم الطبية إلى بغداد . وتقدم العلاج والبحث الطبى تقدما عظيما على يد كبار الأطباء فى ذلك العهد : كالرازى الجليل المقام، وعلى بن ربن، وعلى بن العباس، وابن سينا اشهرهم جميعا وقد كان لمؤلفاته الكلمة العليا فى الطب فى العالم المتمدين مدة ستة قرون . ونحن نعلم أن قد كانت هناك فعلا مستشفيات منشأة وأخرى فى دور الانشاء فى القرن العاشر الميلادى فى كل من بغداد والقاهرة . كذلك قد وصل إلى علمنا خبر المستشفيات الحربية التى كانت ترافق الجيوش العربية فى الميدان، وأنه فى القرن الثانى عشر كان أحد سلاطين السلجوقيين فى حاجة إلى ٢٠٠ جمل لنقل مستشفى حربى . ولكن ليس لدينا علم عن الخدم الذين لا شك أنهم كانوا يؤلفون فريقا من هذه الخدمات الطبية .

أما فى أوربا فقد ظل التمريض فى الغالب فى أيدى الهيئات الدينية . وكانت رعاية المرضى واجبا دينيا لا يحتاج إلى تدريب خاص . ثم جاء

فصلها عن الكنيسة ففقدت حتى ذلك الاخلاص المنبعث عن الناحية الدينية، ونزل مستواها إلى درجة فظيعة.

واستولت هذه الحالة المحزنة على أوربا بصفة عامة نحو ٣٠٠ سنة، ولم يعرف العالم التمريض باعتباره مهنة قائمة على التدريب إلا منذ أقل من مائة سنة. و إنكلتره، التى كانت متخلفة فى ذلك الميدان عن سائر أوربا، قد أثارتها يومئذ الحاجة الملحة إلى تزعم أوربا فى هذه السبيل، بسبب ما كان متفشيا بين طبقات الفقراء فيها من أمراض استلزمت أحدث أنواع الاصلاح. لقد كان التطور الصناعى سريعا وناجحا للغاية، ولكن السعى وراء الثروة كان قد غشى على حاجيات العمال. وتقبل الناس ما أصاب طبقة العمال من الفاقة والبؤس فى حياتهم وعملهم على أنه الثمن الطبيعى الذى لم يكن للأمة مناص من دفعه نظير التوسع الصناعى. غير أنه كان هناك من الأفراد من أدركوا ضرورة الاصلاحات الاجتماعية، ومن تلك الجهود الأولى فى تحسين رعاية المرضى والمعوزين نبعت مهنة التمريض الحديث. وكان المحرك لتلك الحركة عبقرية امرأة من عظميات من أخرجت الأمة الانكليزية. هذه المرأة هى فلورنس نيتنغيل Florence Nightingale التى تمكنت، بما تحلت به من الجمع بين التعلق بالمثل العليا والمقدرة العملية، من التغلب على عقبتين كانتا أمامها: عدم الاكتراث باصلاحاتها، ومعارضتها، فأسست بذلك ما أصبح اليوم أول خدمة تمريضية قائمة على التدريب العلمى فى العالم.

ولدت فلورنس نيتنغيل سنة ١٨٢٠ فى إيطاليا، ولكنها قضت كل شبابها فى إنكلتره. وكما قد نترقب من مثل تلك الشخصية، قد ظهر برها وحبها لمساعدة غيرها منذ حداثة سنها. ففى طفولتها كانت جميع ألعابها تمريضا وتضميدا لدماها، وتضميدا للحيوانات المريضة. وكانت فى الثامنة عشرة حينما شعرت بالدعوة إلى القيام بعمل جليل، معلنة «أن الله قد دعاها للقيام بخدمته فى السابع من فبراير سنة ١٨٣٧». ولم يكن قد اتضح فى ذهنها يومئذ أن التمريض سيكون مهنتها، ولكنها سرعان ما



ممرضات بريطانيات يتمرن على التضميد .

أدركت ذلك فأخذت عدتها لتلقى منهج تدريبى فى إحدى مستشفيات الأقاليم . ومن الدلائل التى تسترعى النظر عن الأحوال التى كانت سائدة فى مستشفيات ذلك العهد، وعن طراز الممرضات اللاتى كن يستخدمن فيها، أن والدة فلورنس نيتنغيل كانت شديدة المعارضة لالتحاق بنتها باحدى تلك المستشفيات . ولكن رغبتها فى خدمة الانسانية كانت أقوى من أن تنهزم بهذه السهولة، فلم تتحول عن غرضها إلا مؤقتا . ثم واصلت دراستها لنظم التمريض فى إنكلتره وفى القارة الأوربية حتى عادت إلى إنكلتره سنة ١٨٥٣، فعينت رئيسة لمستوصف صغير للنساء حيث بذلت أول جهودها فى تدريب الممرضات . ولكن القدر كان قد أعد لها عملا آخر أهم فقطع عليها سبيل محاولتها الأولى فى تخريج ممرضات، ففى السنة التالية ناداها الواجب فلبته .

ذلك أنه فى سنة ١٨٥٤ اهتزت إنكلتره بما وصلها من أخبار الآلام التى كان يعانيها الجنود البريطانيون، المرضى منهم والجرحى، فى حرب القرم . فلم يكن ثمة استعدادات متخذة لرعاية المرضى والجرحى . وكانت

الأحوال فظيعة وحمى التيفوس منتشرة . وحدث فى تلك اللحظة أن وزير الحربية — وكان صديقا من أصدقاء فلورنس نيتنغيل — كتب إليها يسألها عن استعدادها للذهاب إلى القرم وإعادة تنظيم الخدمة التمريضية فيها، إذ كانت هى الشخص الوحيد الذى كان قد أعد نفسه لذلك العمل الجليل .

ولقد حققت غرضها، على الرغم من معارضة القسم الطبى للجيش على أساس أن قيامها بذلك العمل لا يليق بامرأة، وأنه لا يناسب الحرب، وعلى الرغم من عدم الاكتراث الذى كان فى الدوائر العليا للحكومة. فأنقذت بعطفها، وسعة حيلتها، ومقدرتها التى لا تنكر، حياة آلاف من الجنود.

وكانت حالة المرضى فى سوئها كما كانت تنقله الأخبار تماما، ولقد غدت أخبار جهودها بين المصابين قصة أقرب إلى الخرافة . فقد كانت لا تمل العمل، إذ كانت تظل واقفة فى أجنحة المستشفى عشرين ساعة متواصلة

ممرضات بريطانيات يتمرن فى قاعة العمليات مع جراحين وأطباء .



فى بعض الأحيان، مرشدة ومشجعة من حولها . وكانت مبعث الأمل للمرضى، ومبعث الالهام لمرءوسيها . وسرعان ما بلغ عدد مرضاها الذين ترعاهم ١٠,٠٠٠ رجل، وبمجهوداتها المتواصلة خفضت نسبة الوفاة بينهم من ٤٢ فى المائة إلى اثنين فى المائة، فى مدى ثلاثة أشهر . لقد كان ذلك انتصارا للنظام، والنظافة، والادارة الحسنة، والوسائل الصحية الدقيقة، والاخلاص الذى لا يتزعزع . لقد كان ذلك فوزا عجيبا بحيث إنها لو كانت ماتت فى تلك اللحظة لكانت الخرافات التى تقص عن عملها قد خلدت .

وعادت إلى إنكلتره فى غير جلبة، متجنبة حفلات الاستقبال التى كان الشعب يود ان يستقبلها بها؛ وبعد أن استجمت قواها بعد المحنة المضنية التى كانت فيها، وجهت نفسها إلى ما أصبح مشغلة حياتها، وهو إنشاء تدريب علمى للممرضات، ورفع مقامهن الاجتماعى من منزلة أحقر الخادمات إلى مرتبة النساء المتدربات الملهمات بالرغبة فى خدمة الانسانية. وتمكنت من النهوض بذلك المشروع بالمبلغ المالى الذى جمع اعترافا بجميل ما صنعت فى حرب القرم، فأسست به مدرسة نيتنغيل للممرضات . وإلى جانب ذلك واصلت خدمتها للجيش كذلك . ولم يكن من الممكن فى تلك الأيام السابقة أن تجلس امرأة فى اللجان الحكومية، ولكن وزارة الحرب كانت تستشيرها على الدوام، وكانت هى العامل القوى الذى سبب كثيرا من الاصلاحات التى استحدثت فى الوسائل الصحية، وإدارة خدمة التمريض والمستشفيات .

واسم فلورنس نيتنغيل من أشهر الأسماء، ولكن عملها لم يكن جهدا منعزلا . فقد اتفق أن تطور مهنة التمريض حدث فى الوقت الذى استيقظ فيه الضمير الاجتماعى للأمة بصفة عامة . فكان تقدم التمريض خطوة من الخطوات الكبرى التى سارت بها حركة الاصلاح الاجتماعى التى مهما تكن فى كثير من الأحيان منبعثة عن جهد فردى، فانها قد تعهدتها بالتنمية والتنفيذ الحكومة وإرادة الشعب .

قهر الأمراض
فى الامبراطورية البريطانية

لا يأتى ذكر أفريقيا دون ان يعرض للذهن عاجلا أو آجلا اسم ليفنجستون، فهو ذلك الرحالة البريطانى المشهور الذى يرجع اليه عظيم الفضل فى اكتشاف بعض مجاهل «القارة السوداء» . . . .وما صادف فيها من أمراض . ولكن كم منا يعرفون دافيد بروس؟

اقترن اسم بروس بالمحاولات الجليلة التى قام بها رهط من الأطباء، وهو على رأسهم، لمحاربة الأمراض الافريقية التى كانت تقضى على الكائنات الحية فى هذه الأراضى الغنية، وكانت السر فى تأخر أهلها وشعوبها .

وهى أمراض كانت قد استوطنت أقاليم شاسعة من أفريقيا الاستوائية مدة قرون طويلة . وكانت هذه الأمراض فى خطرها وشدة وطأتها، كأنها جيش عرمرم سريع الحركة اذا ما انقض على منطقة شل ما فيها من مظاهر الحياة الانسانية والحيوانية على حد سواء . ولا شك فى ان ما اعنيه واضح، فانى انما اقصد الأمراض التى يحملها ذباب تسى تسى.

ولقد بلغ من فظاعة هذا الذباب الفتاك، ان صدت اسرابه المخيفة، جحافل من المقاتلة الآدميين الذين أرادوا غزو الأقاليم الموبوءة بهذه الحشرة . فوضعت فى القرن العاشر حدا فاصلا لتوسع العرب، وهم أول من فتح افريقيا حسب ما يقيده التاريخ المعروف، ثم أعادت الكرة فى القرن الخامس عشر وأوقفت توغل البرتغاليين. اذ ان اقتحام مناطق الذباب كان يعنى هلاكا محققا للثيران والكلاب والجياد التى كان يعتمد عليها الغزاة والمستعمرون الأولون جل الاعتماد فى غزواتهم وفتوحاتهم .



أراض مملوءة بالمستنقعات مثل هذه يتوالد البعوض بسرعة .

كان من شأن هذه الحشرة القتالة انه اذا نزلت ذبابة على جواد أو ثور لتمتص دمه، كان من المؤكد ان تظهر على ذلك الحيوان عوارض المرض فى مدة شهر أو ما يقل عنها أو يزيد عليها، فيتورم بعض جسده، وتنشب فيه العلة مخالبها ثم تقضى عليه فى النهاية . وراح بعض الناس يرجحون بان سبب ذلك لا يرجع الى الذبابة نفسها، بل الى وجود عشب سام ينمو فى المناطق الموبوءة بالذباب، وان هذا العشب هو الذى كان يتسبب فى قتل الحيوان . ولكن مهما يكن من أمر السبب، فانه لم يكن للمرض من علاج . . . .

وكانت فى أفريقيا أمراض كثيرة غمضت اسبابها واستعصى علاجها . فكانت أرواح الآدميين والدواب على السواء، تزهق ازهاقا دون ان تكون للوفاة علة مفهومة . وقد بلغت هذه الحال بافريقيا حدا اكسبها سمعة رهيبة كانت ترتعد لها الفرائص فرقا . فمما يعرف انه صدر فى انجلترا فى منتصف القرن التاسع عشر كتيب كان عنوان احد فصوله هو « كيف

تبلغ افريقيا الغربية وكيف ترجع » . غير ان ما يزعج هو ان المؤلف بدأ النصف الثانى من هذا الفصل بقوله دون حرج : « اذا كنت فى عداد الاموات، فلست فى حاجة الى هذه الارشادات ! »

ولا عجب، فقد كانت افريقيا فى ذلك العصر موبوءة بالملاريا والحميات المجهولة والدوسنطاريا والاستسقاء واليرقان وتضخم الطحال الناشئ عن الحمى المتقطعة . وهى أمراض كانت تودى بحياة رجل سليم فى اسبوع او اثنين، حتى قيل ذات مرة ان شهرا واحدا هو الفترة المعقولة التى يمكن ان يعمرها رجل يقيم عل ساحل غينيا .

ليفنجستون ومرض ذبابة تسى – تسى :

كانت هذه هى حال افريقيا عندما جازف ليفنجستون وغيره من الرحالة بحياتهم لكشف مجاهلها . وقد قرأ دافيد بروس عن مرض ذبابة تسى تسى فى الكتب التى ألفها ليفنجستون وغيره، فاشتدت رغبته فى كشف ما غمض من امر هذا المرض . وقد قال ليفنجستون انه فقد ثلاثة وأربعين ثورا كان يملكها من جراء لدغة هذا الذباب «مع أننا كنا قد شددنا الرقابة على الحيوانات، ونجزم بانه لم يكن فوقها غير بضع ذبابات» .

وجد ليفنجستون أهل افريقيا على علم بأثر هذا الذباب فى الحيوانات الأليفة . ويحكى انه زار مرة رئيس قبيلة فقال له الشيخ ان ما اتى معه من ماشية سارت فى مناطق الذباب لا بد وان تنفق . فحدث فعلا ان هلكت ماشيته على بكرة ابيها . فاهداه شيخ القبيلة الافريقية ما كان عوضا عنها .

وسرعان ما أمسى هذا الذباب كابوس ليفنجستون وعشيرة المكتشفين . غير ان الرحالة البريطانى عرف امورا كثيرة عن هذه الحشرة التى كان يطلق عليها اسم «الوباء» . وكان ما تركه من معلومات عنها، هو كل ما كانت أوربا تعرفه فى هذا الصدد الى ان نشر بروس تقريره فى سنة ألف وثمانمائة وست وتسعين .

كتب ليفنجستون يقول : «يلوح ان فى الدم عوارض تدل على ان به سما ما، تتسرب جرثومته اليه عندما يكون خرطوم الحشرة مشتغلا بامتصاص دم المصاب . ويلوح ان الجرثومة السامة، وتوجد فى البصيلة عند قاعدة الخرطوم، قادرة على التوالد، ولو الى حد محدود جدا » .

لم تكن فكرة «السم» جديدة : ولكن من المؤكد ان فكرة «توالد الجرثومة» كانت سابقة لمعلومات ذلك العصر . اما القسم الثانى من عبارة ليفنجستون فقد كان باعثا على الدهشة لما كان فيه من نبوءة دقيقة عما بلغه رجال العلم من نتائج عند ما قاموا فيما بعد بالتحرى عن طبيعة المرض مستعينين بكل ما أتى به علم الطب الحديث من مزايا، اولئك العلماء الذين استرشدوا بابحاث ليستر وباستير وارليش وكوخ، فاخذوا على عاتقهم مهمة توجيه الطب والجراحة فى أوربا، حتى حدث ان ذهب بروس الى ناتال . . . .

ولقد ظلت ذبابة تسى تسى، اثناء هذه الحقبة من الدهر، السيدة المتصرفة فى حياة آلاف من المزارعين الافريقيين ورزقهم . فقد كانت هذه الذبابة تصيب الماشية بمرض ما : ولم يكن لهذا المرض من علاج .

بروس ومرض النوم :

وكان أيضا من أمراض افريقيا، مرض كان الاعتقاد السائد انه لا يصيب العنصر الأبيض، ولو أنه كان يقضى على الآلاف المؤلفة من الزنوج — ذلك هو مرض النوم . وكانت عوارض هذا المرض الحمى والصداع والضجر والهزال . . . اما نهايته فكانت الموت المحقق . ومن القرائن التاريخية ما يدل على ان هذا المرض كان يتسبب فى تخفيض عدد السكان تخفيضا عظيما بلغت نسبته فى احدى الحالات — على جزيرة بوفاما وسط بحيرة فيكتوريا — ما يزيد على ثلاثة أرباع فى سبع سنين فقط، وذلك بين عامى ألف وتسعمائة وألف وتسعمائة وسبعة .

كان هذا المرض يعرف فى أفريقيا منذ زمن طويل . وقد جاء ان



أحمد أفندى يعد تقريرا طبيا فى المحطة الطبية فى جلابات . وتقوم مدرسة لورد كتشنر للطب فى الخرطوم بتدريب الأطباء وملاحظى الصحة على قتال الملاريا.

سلطانا عربيا كان يقطن اواسط افريقيا فى القرن الرابع عشر، مات من جرائه . على ان أول وصف عرف امره لعوارض هذا المرض، اتى فى كتاب عنوانه «جراح البحرية» أصدره فى سنة ألف وسبعمائة وسبع وثلاثين، جراح بحرى انجليزى يدعى جون اتكينز، اذ قال ان المصابين كانوا يضربون بالسياط او يدفع بهم الى ماء البحر البارد — اى شىء يوقظهم من بلادتهم وسباتهم — ولكنهم كانوا فى الحالات القليلة التى يبلون فيها من المرض «يفقدون ما لهم من حصة ضئيلة من العقل، ويعيشون حياة العته والبلاهة» .

انها لصورة شنيعة . وقد حاول الأفريقيون أنفسهم معالجة الداء، ولكنهم كانوا لا يعالجون الا العوارض دون السبب، وذلك لجهلهم به . فكانوا يستأصلون الغدد الصلبة المتورمة فى العنق، ويضربون المرضى بالسياط مرارا وتكرارا كى يظلوا يقظين . ولكن ظل المرض بلا علاج حاسم فعال الى أن أتى أفريقيا علم الطب الحديث، فجاء فى صحبته الأمل

فى الخلاص من هاتين المصيبتين : مرض ذبابة تسى تسى الذى كان يصيب الماشية ومرض النوم الذى كان ينتاب الأنسان . ويرجع الفضل العظيم فى هذه المأثرة الخالدة الى دافيد بروس، الطبيب والعلامة البريطانى . اما الفضل فى اهداء افريقيا بهذا العالم الجليل، فيرجع الى مدير من أجدر رجال الامبراطورية، وهو السير وولتر هولى هاتشيسون .

نبذة عن دافيد بروس :

ذهب بروس الى أفريقيا للمرة الأولى فى سنة ألف وثمانمائة وأربع وتسعين . ولم ينقض على وصوله عامان حتى كان قد اكتشف سبب مرض ذبابة تسى تسى . ثم عاد بروس الى أفريقيا مرة أخرى فى سنة ألف وتسعمائة وثلاث، ولم تمض على مجيئه خمسة أشهر حتى كان قد اكتشف سبب مرض النوم .

وبروس، استرالى المولد، اسكتدلندى النشأة، قد تخرج من جامعة ادنبره . وعند ما التحق بالجيش بعد ثلاثة أعوام قضاها فى مزاولة الطب على اثر انتهاء دراسته، عين فى منصب تابع لحامية مالطة . وكان قد انتشر بين حامية الجزيرة ونوتية السفن وأهل البلاد وباء خطر يدعى الحمى المالطية . ولم تكن هذه الحمى مرضا قتالا، ولكنها كانت تتسبب فى ضياع وقت طويل اذ كان يتطلب علاج الحالة الواحدة فى المتوسط مائة وعشرين يوما . وقد أبلى الكابتن بروس بلاء حسنا فى محاربة هذه الحمى، ووفق فى اجراء بحث دقيق عن أسباب هذا المرض بالذات لم يتم الا عند رجوعه الى جزيرة مالطة رئيسا للجنة خاصة . فقد تمكن عندئذ من البرهنة على ان جرثومة المرض موجودة فى لبن الماعز .

وكانت شهرة بروس قد ذاعت اثناء ذلك فى أفريقيا . فان السير وولتر هولى هاتشيسون كان حاكم مالطة بين عامى ألف وثمانمائة وخمسة وثمانين، وألف وثمانمائة وستة وثمانين، اى خلال البحث الذى قام به الكابتن بروس . واذ أصبح السير وولتر حاكما لناتال عام الف وثمانمائة

وأربعة وتسعين ، تمكن من «اقتراض» الكابتن بروس من السلطات العسكرية عقب وصوله الى ماريتزبرج وأرسله شمالا الى بلاد الزولو ليتحرى السبب فى مرض كان متفشيا بين ماشية أهل البلاد، ويقضى عليها قضاء مبرما . وكان لا يعرف من أمر هذا المرض شيء سوى انه قتال . اما اسمه فكان ناجانا .

وما كاد ينقضى شهران على وصوله حتى استدعته القيادة العسكرية فى يناير سنة ألف وتسعمائة وخمس وتسعين، زاعمة ان أساليب السير وولتر لم تدع لها وقتا كافيا لكى تبدى رأيها فى هذه الفكرة الرامية الى أرسال ضابط بالجيش ليعالج عددا من ماشية الزولو . . . ولكن السير وولتر كان رجلا مثابرا لا تقعده مثل هذه الاعتراضات، فما مر عام أمضاه فى التراسل مع السلطات المركزية فى انجلترا الا ورجع بروس الى أبحاثه ودراساته .

أصحاب الفضل على بروس :

يقول بروس عن السير وولتر هولى هاتشيسون : «لولا الحاكم لتأخر القيام بهذا العمل أعواما طويلة . فان فضل البدء فى التحرى عن طبيعة مرض ناجانا، راجع كله اليه . وما كان العمل ليتم، بدون معونته الايجابية » .

كما ان زوجة بروس جديرة بالذكر أيضا . فقد كانت مساعدته فى كافة أبحاثه، ورفيقته فى كافة سفراته . وقضت نحبها فى سنة ألف وتسعمائة واحدى وثلاثين ، فما فاتت على قضائها ثلاثة أيام حتى حضرته الوفاة . وكانت آخر عبارة فاه بها وهو راقد على سرير الموت، رجاء بأن يعترف أولو الأمر بفضل نصيبها فيما أحرزه هو من نجاح، اذا ما قر العزم على تكريمه والاشادة بأعماله .

ولا مبالغة فى ذلك، فقد كانت زميلة دائمة له فى تلك المعامل البدائية التى كانا يقيمانها وسط المجاهل الأفريقية حيث كانت صعوبات البحث



اللحم الذى يعرض للبيع بدون أن يغطى مصدر للعدوى الملارية .

شديدة، ومعداته غير متوفرة . وقد تغلبا على هذه الصعاب سويا ، ورافقته فى أول عطلة له بعد رجوعهما من مالطة، اذ انتهز الاثنان الفرصة وذهبا معا الى برلين بغية العمل مع كوخ العلامة الكبير ، حيث مكنتهما ارشادات هذا الاستاذ من اتقان فن البحث فى العامل الطبية .

كذلك ساعده الافريقيون انفسهم، فكانوا ينفذون كل ما يطلب او يشير به . مثال ذلك انهم كانوا يجمعون آلافا من ذباب تسى تسى لكى يتخذها نماذج يجرى عليها تجاربه، او يسحبون قبائلهم وماشيتهم من المناطق الموبوءة او يقيمون كوخا ليهىء منه معملا، الى غير ذلك من أوجه التعاون التى عادت عليهم بنفع كبير وخير عميم .

وهكذا استطاع بروس رغما عما اعترضه من صعاب ورغما عما قاساه

من وعورة السفر ورداءة المناخ وندورة المعدات الطبية، ان يوفق فى أعماله توفيقا بلغ من الكمال مبلغا كان ولا شك يحسده عليه غيره من البحاثة الذين كانت ظروفهم أيسر من ظروفه . وقد أدت ابحاثه الى اكتشاف ما كان ليدور فى خلد أحد من قبل، اذ أوجد علاقة بين ذبابة تسى تسى والمرض المسمى باسمها ومرض النوم ومرض ناجانا .

أعمال دافيد بروس :

برهن بروس على ان الأسباب المؤدية الى مرض ذبابة تسى تسى ومرض النوم واحدة . فانه يتسبب فى ظهور هذين المرضين وجود جرثومة طفيلية ذات خلية واحدة فى الدم او السائل الشوكى او الجهاز العصبى. واسم هذه الجرثومة ترايبانوسوم، وهى بروتوزوا من ذوات السياط .

غير ان شكل الجرثومة التى رآها اولا فى دماء الحيوانات المصابة بالناجانا او مرض ذبابة تسى تسى ، لم يكن هو بعينه شكل الجرثومة التى رآها فيما بعد فى دماء الآدميين المصابين بمرض النوم . وكان بروس فى شك من هذه النقطة، ولكن اتفق من تبعه من البحاثة على أنه ولو ان الفارق بين الجرثومتين ضئيل جدا بحيث يمكن احتمال تفرعهما اصلا من عنصر واحد، الا ان كلا منهما قد تشكلت بطبيعة الجسد الذى تعيش عليه، مما كان يترتب عليه أنه لو حقن آدمى بجرثومة الناجانا، لما ظهرت عليه عوارض مرض النوم . ولكن ما يهم هو ان الحقائق التى توصل بروس الى كشفها حقائق اساسية، كما انه اهتدى الى شخصية العدو فى مرض النوم.

وبرهن بروس ثانيا على ان ما يحمل هذه الجراثيم الى الآدميين



الآبار والمياه النظيفة ذات أهمية عظمى فى الحماية من الملاريا .

والحيوانات على السواء، كائن واحد، الا وهو ذبابة تسى تسى . كما برهن ثالثا على ان مستودع هذه الجراثيم الفتاكة هو وحوش الصيد فى أواسط افريقيا، وخاصة بقر الوحش . فان الجراثيم السابحة فى دماء هذه المخلوقات تكاد تكون غير مؤذية لها – ولو أنها مؤذية فعلا الى حد ما . غير انها اذا ما انتقلت الى دماء كائنات مستعدة لقبول المرض، كانت قتالة.

وكان بروس أيضا أول من برهن فى صبر طويل جميل، بعد تجارب لا حصر لها، على ان الناجانا ومرض ذبابة تسى تسى مرض واحد . وان ذبابة تسى تسى ، وهذه الذبابة وحدها، هى التى تنقل الجراثيم من الوحوش الى الحيوانات الأليفة، ومن هذه الى تلك، او من كائن مصاب الى آخر سليم .

حقيقى ان بروس لم يكتشف العلاج، ولكن ما اوصى به من سبل الوقاية، انقذ الكائنات السليمة . اذ كان يأمر بقتل الوحوش المصابة، وطرد الحيوانات من الأدغال، وابعاد الماشية عن مناطق الذباب، مع ما فى ذلك من خسارة أميال من المراعى الثمينة . لم يكن هذا حلا مثاليا، ولكنه ترك أثره فى مكافحة هذه الحشرة .

بروس ومحاربة مرض النوم :

بعد ان اشترك بروس فى حرب البوير وابلى فيها بلاءا حسنا فكوفئ على خدماته بترقيته الى رتبة ليفتنانت كولونل، رجع الى محاربة الأمراض ما دامت الحروب تنتهى بينما الأمراض تبقى . وحدث فى عام ألف وتسعمائة وواحد ان انتشر مرض النوم فى أوغندا، فاشرف عشرون الف أفريقى على الموت وهلك بعضهم . فسارعت الجمعية الملكية، بناء على دعوة من وزارتى الخارجية والمستعمرات، بارسال بعثة خاصة . ولم تنقض بضعة اشهر حتى كانت البعثة جادة فى عملها .

كذلك قررت الجمعية الملكية اقتراض بروس من وزارة الحربية، فذهب هو وزوجته الى انتيب حيث كان طبيب يدعى الدكتور كاستلانى مشتغلا

هناك باختبار نماذج من دماء الأفريقيين وسوائلهم الشوكية، وكانوا مزيجا من مرضى ومشرفين على الهلاك .

رجح كاستلانى فى تقريره ان جرثومة تدعى ستربتوكوكس هى التى تسبب المرض ثم قال انه لاحظ ايضا وجود جرثومة من نوع الترايبانوزوم . فركز بروس اهتمامه على هذه الجرثومة الاخيرة لمعرفته بها ولما كان له من خبرة طويلة بها فيما يختص بالناجانا ومرض ذبابة تسى تسى.

توفر بروس بمعاونة زوجته وكاستلانى وغيرهما من المساعدين على فحص مئات من النماذج من دماء المصابين بمرض النوم وسوائلهم الشوكية فوجد ترايبانوزوم فى سبعين فى المائة منها . وإذ راجع النتائج التى بلغها على النتائج التى اسفرت عن اختبار نماذج مستمدة من زنوج لا يشكون بهذا المرض وأخرى مأخوذة من متطوعين اصحاء الاجسام لم يجد ايا من هذه الجراثيم الطفيلية .

وقبل ان يغادر بروس اوغندا كان قد تحقق من صحة الهامه . اذ برهن على ان الترايبانوزوم كانت تصيب الآدميين بمرض النوم، وتصيب الماشية بمرض ذبابة تسى تسى .

ثناء على بروس :

لم تكن اكتشافات بروس فى الواقع سابقة لأوانها . فقد ثبت ايضا خلال هذه الحقبة ان الخرافة القائلة بأن مرض النوم كان لا يصيب الاوربيين لم تكن الا خرافة . اذ حدث فى سنة الف وتسعمائة ان ظهرت فى انجلترا وفرنسا حالات تشكو من تسرب هذا المرض الى تلك البلاد من الاقاليم الافريقية .

وشارف طبيب يدعى باتريك مانسون على كشف جرثومة هذا المرض فى دم انجليزى ولكن المريض ابى الاستسلام الى فحصه . وربما كان باتريك مانسون اكثر من توفروا على تنظيم دراسات الامراض الاستوائية لما كان يبديه من تشجيع للبحاثة الفرديين وما ساهم به من جهد لانشاء مدرسة طب المناطق الحارة فى لندن . غير انه اذا كان

الحظ قد خانه فى اكتشاف جرثومة مرض النوم فانه كان قد فاه بنبوءة عندما كتب الى بروس بعد اتمام هذا ابحاثه فى مرض الناجانا يقول :—

«سوف يلقى علم الامراض المقارن سيلا من النور على الباتولوجيا البشرية نتيجة لمثل هذه الابحاث التى تقوم بها، وانه ليسرنى الا نكون قد تركنا مهمة الكشف عن ماهية مرض ذبابة تسى تسى لفرنسى او المانى.»

الموقف فى الوقت الحاضر — بعد بروس :

ادلى حاكم اوغندا فى مؤتمر عقد فى انتيب سنة الف وتسعمائة وست وثلاثين لاطباء افريقيا الشرقية بالتصريح التالى :—

«لست فى حاجة الى توكيد اهمية الابحاث والتحريات المتعلقة بجرثومة الترايبانوزوم . اذ يعرف بأنها من اهم المشكلات ان لم تكن اهم المشكلات فى افريقيا اليوم .»

جنود بريطانيون فى انزيو بايطاليا يطهرون المستنقعات والنباتات التى تغطى بركا راكدة من المياه وفيها يتوالد البعوض .





غشاء من الزيت يرشه جندى بريطانى على سطح الماء لقتل يرقات البعوض .

وتوجد الآن فعلا فى كافة الاقاليم التى يعرف ان مرض النوم او مرض ذبابة تسى تسى منتشران فيها منشآت الحق بها بحاثة متخصصون كلفوا بالتحرى عن الوسائل الصالحة للعلاج والوقاية . فكان فى نيجيريا مثلا فى سنة الف وتسعمائة وتسع وثلاثين ثلاثة ضباط من الاطباء وستة صف ضباط ويساعد كلا منهم فريق من المعاونين الافريقيين الذين كمل تدريبهم . وكانوا منهمكين جميعا فى اجراء فحص عام والقيام بحملة علاجية « فى الميدان » وذلك الى جانب ما كان هناك من موظفين فى المعامل ومكاتب الادارة والابحاث والتمريض .

وقد بلغ من فاعلية هذه الاعمال ان اعلن تقرير القسم الطبى بنيجيريا فى سنة الف وتسعمائة وسبع وثلاثين خلال فترة كانت لا توجد بالميدان فيها الا خمسة اسداس القوة الطبية فقط بأن معدل انتشار العدوى فى المناطق التى جرى فيها الاختبار للمرة الاولى كان ١ , ٩ فى المائة من

الذين فحصوا بينما كان المعدل فى المناطق التى اعيد فيها الاختبار ٦ , ٥ فى المائة . وذلك من بين امثلة كثيرة سجلت رغما عن صعوبة القيام باحصائيات فى الاقطار الافريقية .

وعندما نشبت الحرب فى سنة الف وتسعمائة وتسع وثلاثين انتقل الى القوات المحاربة كثير من الاطباء الاوروبيين الملحقين بهيئة مكافحة مرض النوم فى المستعمرات . غير ان ذلك لم يشل حركة العمل العلاجى او يعرقلها فقد زيد عدد الافريقيين المدربين على هذه الاعمال وعهد اليهم بنصيب عظيم من العمل يفوق ما كانوا يكلفون به عند بدء الحرب. كذلك استمرت الابحاث جارية لاكتشاف عقاقير جديدة للعلاج على النهج الحديث.

مكافحة ذبابة تسى تسى :

كان بروس قد قام بين عامى الف وتسعمائة وثمانية والف وتسعمائة واحد عشر باجراء تحر قصير لتقرير عوائد الذبابة نفسها . ونصح نتيجة هذا التحرى بمكافحة الذبابة عملا على حصر خطر الجرثومة . واثبت سلامة رأيه هذه المرة ايضا حاكم جزيرة برتغالية فى خليج غينيا اذ نجح خلال بضع سنين فى ابادة المرض هناك باتباع وسائل معينة لاهلاك الذباب .

ولكن سوينارتون — وكان اول مدير لقسم الابحاث الخاصة بذبابة تسى تسى فى تانجانيقا — ذهب الى ابعد من ذلك فأمضى سبعة عشر عاما فى اقليم كانت اربعة اخماسه موبوءة بالحشرة متوفرا على دراسة هذه الذبابة وعوائدها ومحال اقامتها وما تركن اليه وما تكرهه . وقبل ان يقضى نحبه فى سنة الف وتسعمائة وثمان وثلاثين لم يكن فحسب قد حرر الفا وخمسمائة ميل مربع من سيطرة ذباب تسى تسى وخطره بل كان قد علم الفلاحين ايضا كيف يحسنون استخدام اراضيهم وكيف يتفادون خطر انهاك التربة وهو خطر دائم المثول فى افريقيا .

ما هذه الا صفحة من الصفحات التى سطرها تاريخ الامراض فى افريقيا ومحاربتها وغيرها كثيرات . . . .

استعمال الباغات فى الصناعة

الباغات اصطلاح مستعمل للتعبير عن تلك المواد العضوية، التى إذا ما تفاعلت كيماوياً تحولت إلى مادة تشبه العسل الأسود فى لزاجته. وبفعل الضغط والحرارة يمكن تحويل هذه المادة إلى أى شكل مطلوب، تحتفظ به ولا تعود ثانية إلى شكلها الأصلى عند توقف تأثير الضغط والحرارة عليها .

والباغات على اختلافها تتكون من نوعين رئيسيين :—

نوع يتأثر بالضغط والحرارة فيلين .

ونوع يحتفظ بكيانه الأصلى، ولا يتأثر بالضغط والحرارة .

وتوجد الباغات فى الأسواق على أشكال مختلفة، فتباع مثلا على شكل مسحوق أو قضبان، أو أنابيب، أو صفائح .

وقد انتفعت الصناعات، بالمجهودات المشتركة التى يبذلها الكيمائى وعالم الطبيعة والمهندس، بحيث أصبحت الباغات تستعمل إلى جانب الخشب والمعادن والفخار، فى الأعمال البنائية .

ويستعاض بالباغات عن المواد الأخرى فى كثير من الحاجات المنزلية والصناعية . على أن الباغات فى الحقيقة لا تحل محل المواد الأخرى قطعا، بل الأصح أنها تستعمل إلى جانب تلك المواد، على نحو نافع مفيد .

ومما هو جدير بالذكر أن الباغات قد ساهمت فى ترقية الأعمال الصناعية، من حيث تصميمها وطرق انتاجها، مما لم يكن متيسراً من قبل، لعدم وجود مواد مناسبة . ونحن لا نكاد نجد صناعة واحدة تخلو من منافع الباغات، بل أن الجهود التى بذلت لتحسين الباغات الحديثة دليل واضح على أهمية هذه المواد البنائية العصرية .

ويمكن القول فى ايجاز، إن الباغات هى نتاج شتى الاختبارات

الكيماويـة، التى أجريت
لحصول عليها .

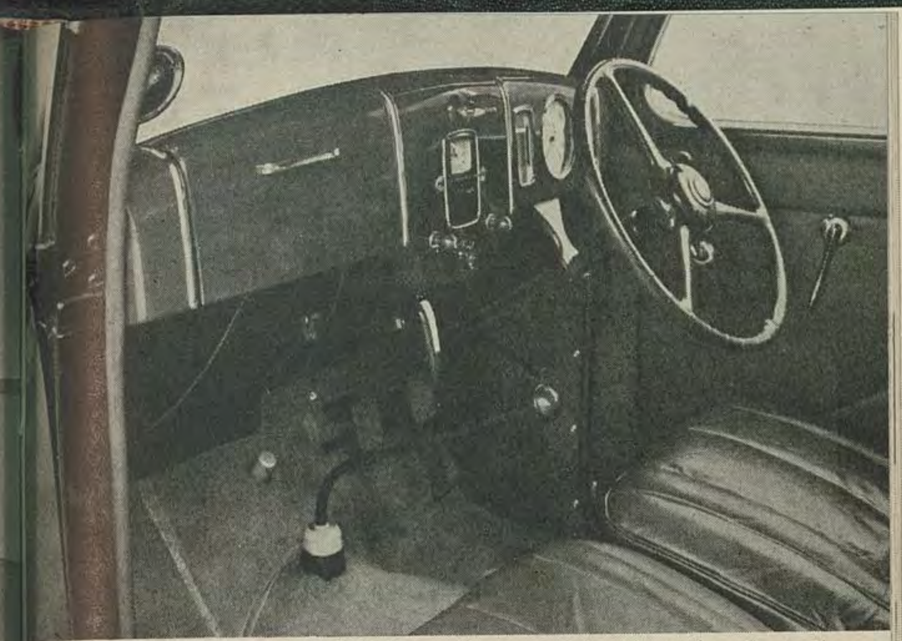
ومن خواصها أنها خفيفة
وزنا، تكاد تكون غير موصلة
للكهرباء بالمرة . هذا فضلا
عن كونها صلبة إلى حد
معقول . فالباغات إجمالا
تقاوم عملية التآكل التى هى
أشبه شىء بفعل الصدأ فى
الحديد، ولا تؤثر عليهـا
التقلبات الجوية تأثيراً يذكر.
وإذا استثنينا بعض الباغات،
نجد أن الانواع الباقية تقاوم
الحرارة بدرجـة معقولة .
ولكن لا يغربن عن البال،
أنها مركبات كربونية، وأنها
لهذا السبب تتحلل إذا ما
تعرضت لحرارة شديدة .

ولما كانت أبرز خواص
الباغات مناعتها ضد سريان
الكهرباء فيها، فليس من
الغريب أو المستهجن أن
تكون الصناعات الكهربائية
هى السباقة إلى استخدام
الباغات على نطاق واسع
وادخـالهـا فى تركيـب



فى الأعلى : مسحوق البكليت يصب فى أوعية مركبة فى الآلة الضاغطة . يسقط الجزء الأعلى وبمساعدة الضغط والحرارة يذيب المسحوق ويسبكه فى الشكل المطلوب . وفى الصورة السفلى ترى فناجين البكليت قد تم صنعها وصارت مجهزة للاستعمال .



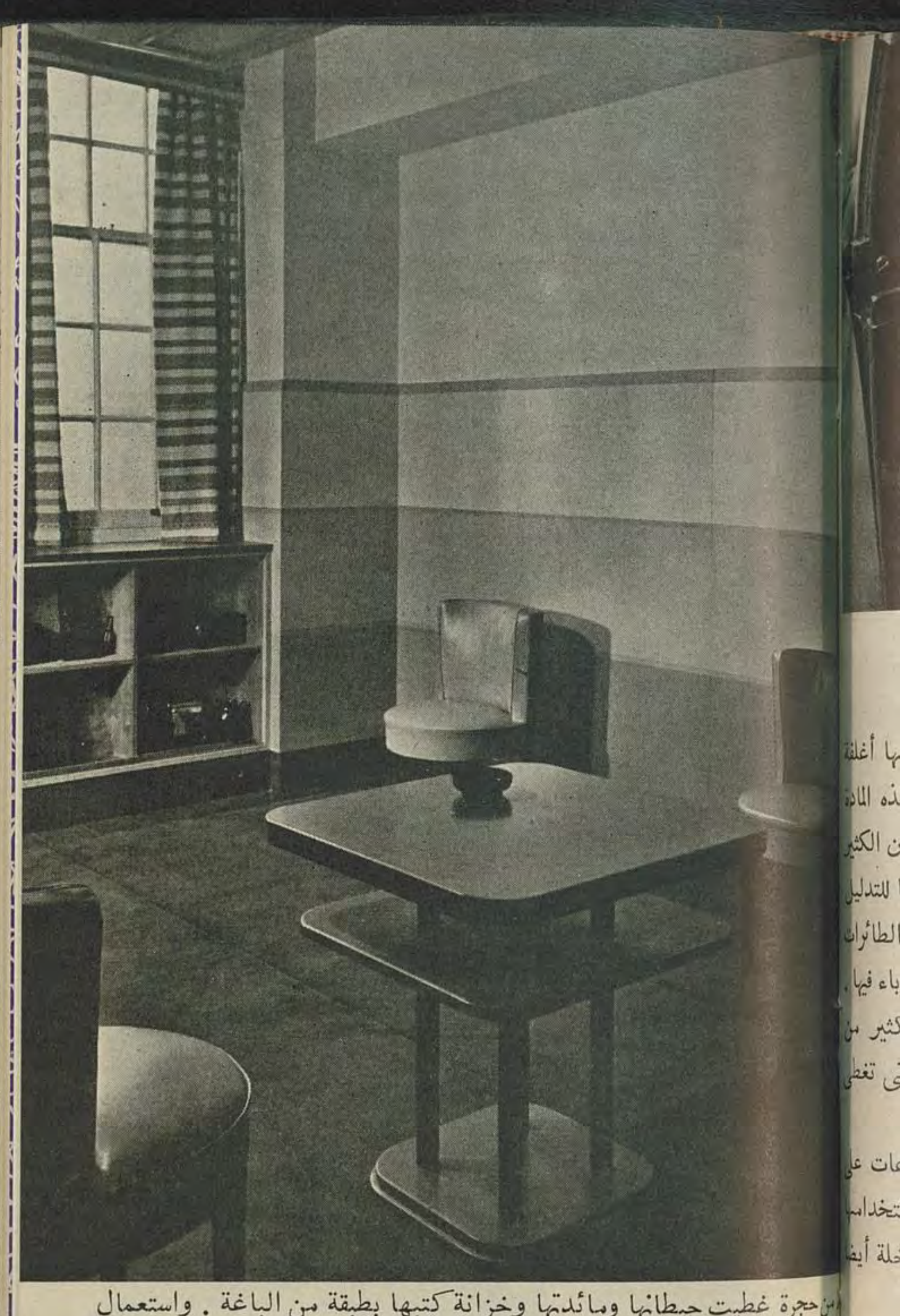


اشياء فى داخل السيارة مصنوعة من الباغة .

الآلات والأدوات الكهربائية على اختلاف أنواعها، كاستخدامها أغلفة للاسلاك الكهربائية، عوضاً عن المطاط الطبيعى، نظراً لقلة هذه المادة وعدم توفرها فى أيامنا الحاضرة . ولولا الباغات لاستحال تحسين الكثير من الاختراعات الكهربائية الحديثة، كالتليفون، والراديو، ويكفينا للتدليل على ذلك ذكر الدور الهام الذى تلعبه الباغات فى عملية تعيين اتجاه الطائرات بواسطة الراديو . هذا من حيث مقاومة الباغات، لسريان الكهرباء فيها .

أما مقاومتها لعملية التآكل، فقد يسرت استخدامها فى كثير من الصناعات الكيمائية . فمن ذلك استعمالها فى صنع الأغلفة التى تغطى المعادن المعرضة للتآكل الكيماوى .

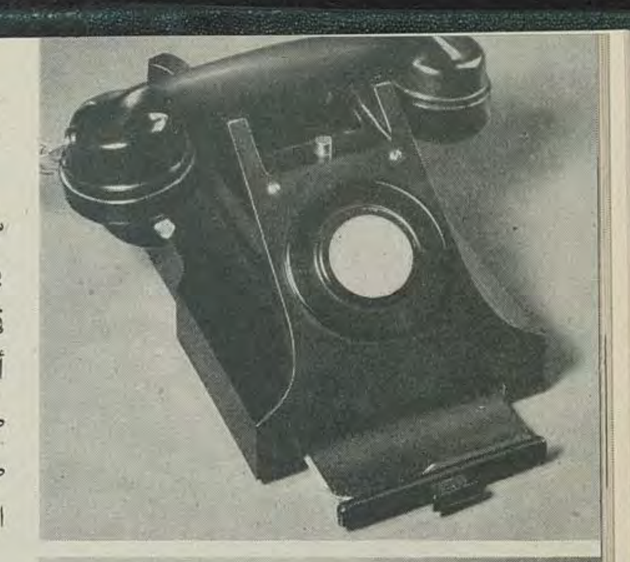
ومما هو جدير بالذكر فى هذه المناسبة أن استخدام الباغات على هذا النحو، «أى لتغطية المعادن والخشب الخ . . »، يفوق استخدامها من أجل ذاتها بصورة مجردة مستقلة . على أننا نجد الباغات داخلة أيضاً فى تركيب المواد المستعملة لصقل الأثاث المنزلى .

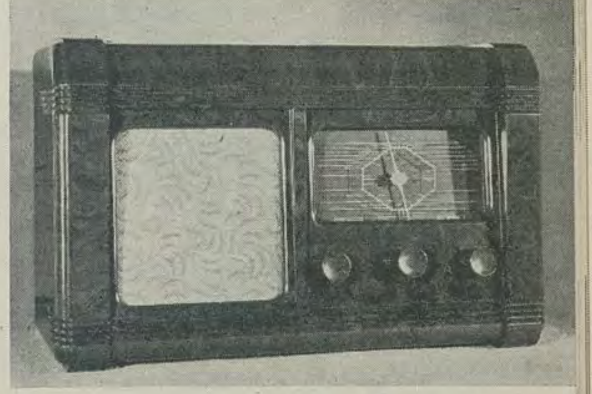


من حجرة غطيت حيطانها ومائدتها وخزانة كتبها بطبقة من الباغة . واستعمال
غة آخذ فى الازدياد فى كل فرع من فروع الصناعة .

ونظرا لجودة الباغات من حيث استخدامها، كما يستخدم الغراء والأسمنت، فى اللصق والتثبيت، نجد أنها أحدثت انقلاباً فى عدة صناعات، نخص بالذكر منها صناعة الخشب الرقيق، من النوع المعروف «بالابلكاش».

وقد حصل أخيراً على نتائج كهربائية طيبة، وذلك بأن أمكن تغطية صفائح خفيفة قوية من الباغات بغلاف معدنى رقيق، بطريقة الرش، وفى ذلك ادخار فى كمية المعدن، التى لولا هذه الطريقة لتحتم استخدامها فى قدر كبير.









بعض الأشياء التى تصنع من الباغة. سماعة التليفون، وغطاء جهاز الراديو، ومقابض المكواة الكهربائية، وكثير من أوعية التجميل الصغيرة والمصنوعات المعروضة فى الدكاكين.

ومن الشائع الآن استخدام الباغات فى أغراض بنائية بحتة، فهى تصنع على شكل صفائح متينة، أو قضبان، أو أنابيب، كما أنها تستخدم فى تركيب الطائرات والسيارات والسفن والأثاث المنزلى، وغير ذلك من الأدوات التى نالت أهمية تجارية كبرى، ولعلها تحرز قيمة أكثر فى المستقبل .

ولا غرو فالباغات قد جمعت بين متانة المعدن، وخفة الخشب . وهنالك نوع من الباغات يشبه الزجاج فى شفافته، ويكاد يطفو على سطح الماء، يستخدم آلان فى الصناعة بصورة متزايدة . فمن هذا النوع من الباغات يمكن صنع عدسات مختلفة، اذا ما توفرت الدقة الفائقة فى صنعها . كما أن هذه الباغات الشفافة تستعمل فى صنع أبراج الملاحظة، وحجرات المدافع فى الطائرات، من مقاتلات وقاذفات، فى كافة أطراف العالم . وغنى عن البيان أننا مدينون للباغات الشفافة، بما نشاهده من أشرطة سينمائية، وما نشاهده من أعاجيب التصوير الفوتوغرافى الحديث، بما فى ذلك خطابات الايرغراف أى الخطابات المصورة، المستخدمة فى هذه الايام .

ولا ننس أن نجاح صناعة الفونوغراف، أو (الحاكى)، راجع إلى الباغات . كما تلعب هذه المادة دوراً هاماً فى التسجيل الكهربائى، الذى نهض بالاذاعة نهوضاً عظيماً . وقبل اختتام حديثنا هذا يجمل بنا أن نذكر أن الباغات تستعمل أيضاً فى صناعات أقل شيوعاً وإن لم تكن أقل أهمية ؛ منها احتفاظ الأقمشة بكيها الأصلى، ومنع تسرب المياه خلالها . ونظراً لأن باغات معينة، قادرة على امتصاص الشوائب والقاذورات، نجد أنها قد استخدمت فى تطهير المياه وتصفيتها .

ويقال وما هذا القول ببعيد عن الصحة، إن الباغات يمكن ترقيتها وتحسينها بحيث تسد جميع حاجات الناس، حتى بما فى ذلك ثيابهم . والمستقبل كفيل باظهار ما اذا كان من الممكن استخدام الباغات إلى هذا الحد من الناحية الاقتصادية .



ڤيكرز آرمسترونغ ليمتد

شركة الصلب الانجليزي التعاونية ليمتد

شركة متروبوليتن - كامل

كاريج و واجون ليمتد

الخ - الخ

شركة ڤيكرز آرمسترونجس ليمتد

مهندسين لبناء البواخر والطيارات



حاملة الطائرات البريطانية « اندوميتابل »

صنعها ڤيكرز - ارمسترونجز لمتد





تصنع دراجات فيليبس فى برمنجهـــام بانجلترا . وواضعو تصميماتها وصـــانعوها هم مهندسون بريطانيون . فهى مثل صادق عن مهارة البريطانى ومقدرته . ولقد بدأت شركة فيليبس عملهـا منذ خمسين سنة مضت . وتزعمت صنـاعة الـدراجات ببريطانيا لمدة خمسين عاما . فاشتهر اسم فيليبس فى كل بلد من بلاد العالم . اشتروا دراجات فيليبس واستعملوها بعنـاية تستفيـدوا من خدماتها لسنين عديدة .



ج . ا . فيليبس وشركـاه ليمتد
مصانع كريدينـدا ، سميزيك ، برمنجهام ، انجلترا